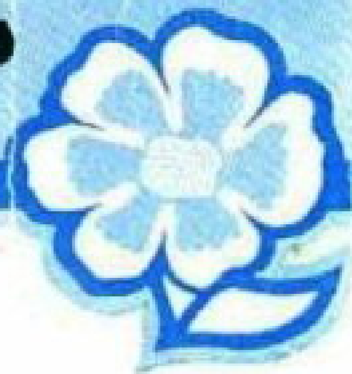
روايات عبير



آن ميثر

أيام معها

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 90

أيام معه

حين يطرق أحدهم بابك، فأنت لا تراه الا اذا فتحت الباب، او استرقت النظر اليه من الثقب

وسوزان حين طرق الحب بابها لم تر فارس احلامها في بادىء الأمر، ولكنها حين اقتربت منه وحدقت في وجهه رأته رجلا لا يشبه الرجال، مشوها، معاقا يمشي على عكازتين، عابس الملامح. وللوهلة الأولى خافت منه وخفق قلبها هلعاً

ولكن مارشيللو المشوه فرض حبه عليها، واحتل مشاعرها وتفكيرها واستعمر اوقاتها وملك كيانها، ومتى علمت بموته باتت كالمجنونة لا تنام الليل

اذن هي تحبه وتخافه. تريده وتنفر منه، لكن يد القدر حين تلامس شغاف القلب تضرم في الشرايين ناراً لا تنطفىء. فهل تخمد النار المستعرة اذا عاد مارشيللو حيا يرزق؟ وهل الصدمة تفك عقدة لسان سوزان فتنطق بكلمة الحب؟

لبنان	٨ ل.ل.	الكويت	٧٥٠ ف	اليمن	٩ ر	السودان	٨٠٠ م		
سورية	٨ ل.س	الامارات	١٠ د	تونس	١ د	UK	£1		
الأردن	٦٠٠ ف	البحرين	١ د	ليبيا	٧٠٠ د	France	F 10		
العراق	٥٠٠ ف	قطر	١٠ ر	المغرب	٨ د	Greece	Drs 150		
السعودية	٩ ر	عمان	١ ر	مصر	٨٠٠ م	Cyprus	P1		

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
THE MEDICI LOVER

المراسلات
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١- زيارة للمقبرة!

منذ اللحظة التي انقضت فيها الطائرة ذات اللون الفضي على البحيرة قبل أن تهبط بهدوء في مدرج مطار البندقية، أحست سوزان بالقلق.

في الواقع، هذا التخوّف يعود الى زمن بعيد وهذا ما كانت سوزان تفكر فيه وهي تنظر الى يدي بيترو المربعتين الموضوعتين بخفة على مقعد سيارته. كانت متضايقة ومشغولة البال. وكلما اقتربت السيارة من منزل بيترو، كانت تقتنع أكثر فأكثر بأنه ما كان ينبغي ان توافق على المجيء الى هنا.

ماذا تعرف عن عائلة بيترو؟ ليس لديه أخوة ووالده مات... هذا قليل. ويبدو انه يرفض ان يطلعها على المزيد. ولو لم تكن

لسوزان حجة جدية لمغادرة لندن، لما فكّرت لحظة واحدة بتلبية دعوته.

في كل حال، لماذا كل هذا الندم المتأخر؟ انها وبيترو صديقان حميمان. وهي تعتقد بأن في رأسه توجد افكار معينة، ومنها انه يأمل ان يرى هذه الصداقة تتطور نحو وضع اكثر جدية. وفي الوقت الحاضر، هو المسؤول عن هذا الوضع.

في ظروف اخرى، من الطبيعي ان تفكّر ملياً قبل ان تقبل بقضاء بضعة أيام مع أشخاص غريبين كلياً عنها. تتكلم اللغة الايطالية في طلاقة، وسبق لها ان أمضت عدة أشهر خلال السنة الماضية في ريميني، في أحد الفنادق المنضمة الى سلسلة الفنادق التي تعمل فيها.

لقد تعرّفت سوزان الى بيترو فيتاليه قبل ستة أسابيع. وكانت يومها تعمل في فندق يقع في حي لندني رفيع، ولقاؤهما كان مصادفة.

وبعدها أخبرها انه طالب في كلية الفنون الجميلة. لكن في الصباح الذي التقت فيه للمرة الأولى، عند محل التحف القديمة، في شارع بورتوبيللو، كان سائحاً مثل الآخرين، يحاول من دون جدوى ان يعبّر عما يريده في لغة انكليزية ضعيفة. وللحال نسيت سوزان السبب الذي من أجله دخلت الى المحل وأسرعت بصورة غريزية لتساعده. وبدا مسحوراً بعينيها السوداوين ورموشها الطويلة، وشعرها العسلي المسدل على كتفيها كالشلال.

كان يريد معرفة ثمن تمثال برونزي يمثل العذراء وطفلها، كهدية لوالدته. وبما ان التمثال غالي الثمن فلم يشتره، لكنه دعا سوزان الى احتساء فنجان قهوة عربون شكر لمساعدتها له.

وبينما كانت جالسة في حانة صغيرة رأت سيارة المرسيدس المعروفة تحوم في الشارع، وتذكرت السبب الذي من أجله دخلت المحل عندما التقت بيترو. فشعرت بارتياح لم تشعر به منذ أسابيع عديدة. وتصرف بيترو معها تصرف الرفيق اللطيف ووافقت على ان تراه مرة اخرى، لا لأنها ترغب في الخروج معه، لكن من أجل تجنّب سائق

المرسيدس... وفرحت لقرارها هذا عندما شاهدت هذا الأخير، واسمه عبد الفايز يقتحم مكتبها في غضب. على الأقل، لديها الآن حجة كافية لرفض دعوات هذا الرجل التركي المتواصلة. انه ثري وقادر وفوق ذلك حسن المنظر. لم يتعود ان يرفض احد دعواته، خاصة من امرأة تعمل من اجل ان تؤمن لنفسها العيش...

منذ زمان وسوزان تعرف ان جمالها اوشك ان يصبح عائقاً امام رغبتها في النجاح في المهنة التي اختارتها لنفسها. ان اصحاب العمل يفضلون الفتيات الجميلات ويعتبرونهن، اما فرائس سهلة، واما فتيات يبحثن عن زوج من خلال الوظيفة. هذه العقلية ترعب سوزان وهي التي رأت تفتت عائلتها وانفصال والدها عن امها. ولا تنوي ارتكاب الأخطاء نفسها.

ولحسن حظها، منذ ثلاث سنوات وهي تعمل لهذه المؤسسة، ولم تصطدم بهذا النوع من المشاكل. ربما لأنها لم تبق مدة طويلة في مكان واحد، اذ ان المؤسسة ارسلتها الى عدد لا يستهان به من البلدان للعمل في الفنادق التابعة لها. في الرابعة والعشرين من العمر، نجحت في المؤسسة والجميع يقدرون ذلك كثيراً. ولحسن حظها، ان نيكولا ستاسي، صاحب المؤسسة، لم يكن لديه أي رأي مسبق وغير مستحسن تجاه النساء. فهو يحكم على موظفيه من خلال اعمالهم.

لذلك فقد كانت ردة فعل سوزان قوية أمام تصرف عبد الفايز السيء، الذي يعتقد ان امرأة جميلة لا ينبغي ان تبقى وحدها...

لذلك، في ذلك اليوم، بدا لها بيترو كمنقذ من السماء.

لكن كان عليها ان تشك في الأمر، لأن الأمور لا تجري بسهولة كما تتصور. لم يكن بيترو دمية متحركة يمكن ان تتصرف بها كما تشاء. وبالنسبة الى عبد الفايز، فهو ليس من نوع الرجال الذين يفقدون حماستهم لمجرد وجود منافس لهم. انه يعمل في لندن على حساب دولته وكان يعيش في فندق. لا يفوته شيء في كل ما تقوم سوزان به

او تفعله، الى درجة انها تساءلت احياناً، كيف يجد الوقت ليقوم بالعمل الذي اوكلته اليه حكومته.

كانت تحب كثيراً الخروج مع بيترو. وكلما تتعرف اليه اكثر، تشعر بأنها تستحسن رفقته غير المتطلبة، ولطفه، ورقته وروح النكتة التي يتمتع بها. وكان يقول لها، ان حبه للفنون وخاصة للرسم والنحت، عائد لحبه للأمور الجميلة. ولفت انتباهها ان بيترو على معرفة واسعة بثروات بلاده الفنية. لم يخبرها كثيراً عن عائلته. ولا يبدو غنياً. ملابسه نظيفة وعادية. وينبع من شخصيته شعور يناقض مظهره الخارجي، وطالما أرادت سوزان ان توجه اليه الاسئلة حول ذلك، لكنها فضلت كبت رغبتها هذه. ليس بيترو سوى صديق وعاطفتها تجاهه لا تذهب أبعد من ذلك.

وخلال بضعة اسابيع، ازدادت معرفتهما، فأخبرته سوزان عن طلاق والديها ثم وفاة والدها، في حادث سيارة. وتزوجت والدتها من جديد، وزواجها الثاني لم يكن موفقاً كالزواج الأول. ومن وقت الى آخر، كانت تأتي والدتها من مدينة بريستول لتمضي يومها في لندن حيث كانتا تتناولان العشاء معاً. لكن الرحلات التي قامت بها سوزان والأيام العديدة التي امضتها خارج البلاد ادت الى ايجاد هوة بينهما. واليوم تعيشان حياة مختلفة، ولم يعد بينهما احاديث تتبادلانها ولا أشياء تتقاسمانها.

عندما أخبرها بيترو عن رغبته في العودة الى ايطاليا خلال عطلة الفصح لقضاء عشرة ايام، واقترح عليها ان ترافقه، أدركت انها ترغب في تلبية دعوته. اذا كانت والدة بيترو تشبه ابنها، فلا شك انها امرأة لطيفة. فضلاً عن انها في اجازة لمدة اربعة ايام.

لكنها عارضت في بادىء الأمر بحجة انها لا تعرف بيترو الا قليلاً ولا يمكنها قبول دعوته. لكن بيترو أصرّ عليها مقترحاً ان يبعث برسالة الى والدته طالباً منها ان تدعو سوزان بنفسها. لكن الفتاة استمرت في الرفض، لأنها ليست من نوع النساء اللواتي يقبلن

بسهولة قضاء بضعة أيام مع شاب بالكاد تعرفه.

لكن القدر تدخّل من جديد، في شكل انسان تركي، يدعى عبد الفايز. بعد مرور ثلاثة أيام على دعوة بيترو استدعى مدير الفندق سوزان ليعلمها عن رغبة احد زبائنه، السيد عبد الفايز بالذات، في تنظيم حفلة استقبال خلال عطلة الفصح ويريد مضيفة لتساعده واقترح اسم سوزان.

ومرة اخرى فوجئت الفتاة بعناد ورباطة جأش هذا الرجل التركي. اعتقدت انه لن يتشجع بعد الآن ويصر على رؤيتها. ومن دون أن تأخذ وقتها في التفكير، أجابت مديرها بأنها آسفة لرفضها العرض، لأنها سبق أن أعدّت برنامجاً يقضي بأن تمضي عيد الفصح في ايطاليا عند اصدقائها.

ولدهشتها بدا السيد نورتون مرتاحاً لهذا الجواب. هل هو على علم بما يجري تحت سقف فندقه؟ وبابتسامة لطيفة أكد لها انها غير مضطرة الى تغيير برنامجها، وتمنى لها قضاء عطلة سعيدة في ايطاليا.

وفرح بيترو لموافقة سوزان بالمجيء الى ايطاليا. لكنه غضب في شدة عندما طلبت منه ان يحجز لها غرفة في فندق قريب من منزله. فاحتج في لغة انكليزية ضعيفة قائلاً:

«كاسيل فالكونيه قرية صغيرة ليس فيها فنادق. انما هناك مكان عائلي ينزل فيه السياح العابرون. ومن المستحيل ان اسمح لك بالنزول هناك لأن أهله أهلي، ويعتبرون ذلك اهانة لهم».

لم تصر سوزان. واتفقا على الذهاب يوم الخميس على ان تعود سوزان لاستئناف عملها يوم الثلاثاء المقبل. والمسألة ليست سوى خمسة أيام فحسب.

ولحظة اقلاع الطائرة شعرت سوزان فجأة بالانزعاج لهذا الوضع الغامض. لقد قال لها بيترو انه كتب لوالدته وأعلمها بالأمر، وكم تمنّت لو كان في امكانها ان تعرف محتوى الرسالة.

سيارة بيترو الصغيرة كانت في انتظارهما في المطار. وبعد المرور

بالجمرك، أصبحا في الهواء الطلق. السماء غائمة لكن انعكاس الضوء قوي، فاضطرت سوزان لوضع نظارتها على عينيها. ولدى رؤيتها المسافرين يتجهون لأخذ الباص، ندمت سوزان لأنها ليست ذاهبة مثلهم الى البندقية حيث كان في امكانها النزول في فندق، من دون أن تجابه عائلة بيترو.

وتوجهت السيارة شمالا. وكان السير بطيئاً، انها زحمة الأعياد. وجنّ جنون سوزان لقيادة بيترو الغريبة التي تظهره انساناً مختلفاً، كأنها ما عرفته من قبل. كانت يداها رطبتين عندما قطعا الطريق الدولية ليتجها نحو طريق فرعية ضيقة ومتعرجة.

ولأن سوزان أرادت ان تفكّر بأشياء أخرى سمحت لنفسها بأن تطرح الاسئلة التي تحاشتها حتى الآن.

سألت في لغة ايطالية لتسهيل الحديث:

«هل تعيش وحدك مع والدتك؟».

أجاب بعد صمت طويل، منهمكاً في تجاوز عربة تجرها بقرتان:

«كلا. نعيش عند ابن خالي».

قالت سوزان رافعة حاجبيها اندهاشاً:

«آه!».

أضاف بيترو وهو يقلص يديه على مقود السيارة:

«قلت لك... ان والدي توفي منذ بضع سنوات».

قالت سوزان في تردد:

«أوه... نعم... وابن خالك يسكن في كاسيل فالكونيه؟».

«نعم».

عضت على شفتيها. ان بيترو يختصر الأمور، ولا يحب الاسترسال في الأحاديث.

«هل ابن خالك... متزوج؟».

أشار بيترو برأسه ايجاباً. وراحت تتخيل العائلة. هل هناك أولاد؟ ما هو وضع والدة بيترو؟ هل هي مربية أطفال، او خادمة؟

ندمت سوزان لأنها لم تستعلم عن هذه الأمور قبل السفر.

سألته في خجل:

«وماذا يعمل ابن خالك؟».

قال في جفاف:

«ابن خالي رجل معاق. حصل له حادث أليم منذ ثلاث سنوات».

قالت سوزان في استغراب، متأسفة لتطفلها:

«آه، اعذرني».

رفع بيترو كتفيه وقال:

«أمور كهذه غالباً ما تحصل. ومارشيللو محظوظ لأنه ما زال على قيد الحياة».

«مارشيللو؟ هذا اسم ابن خالك؟».

«نعم. يدعى مارشيللو دي فالكونيه».

توقفت سوزان عن الاسئلة وراحت تتأمل المنطقة التي تجتازها السيارة. على قمة رابية كنيسة بيضاء تلمع تحت أشعة الشمس. والطريق تتبع تعرجات النهر قبل ان تصعد فوق واد مليء بحقول القمح والشعير والحنطة. واجتازت السيارة عدة قرى، معظمها صغير. وبدت أمامها هضبات الدولوميت العالية المؤلفة من الكلس والمغنزيوم والمكسوة سفوحها بأشجار الصنوبر.

المنظر رائع ومع ذلك ظلت سوزان سارحة في افكارها. ان كلمة فالكونيه تعني لها شيئا... لكن بعد قليل انتبهت انها تشبه اسم القرية: كاسيل فالكونيه...

وبينما كانت على استعداد لتفتح فمها لتطرح عليه سؤالا آخر، ابتسم لها بيترو وأعلن انهما سيصلان قريباً جداً. فقالت سوزان لنفسها حينئذ، انه لا بد ان تعرف الكثير خلال اقامتها هنا ما دام صديقها لا يحب ان يتحدث عن عائلته.

ولما رأت كاسيل فالكونيه على قمة التلة، تذكرت سوزان جمهورية

سان مارينو الصغيرة. وقرية كاسيل فالكونيه قلعة محصنة طرقاتها محددة بالقبب ومليئة بالأساطير والحوادث التاريخية. والساحة العامة، تكسو أرضها الأشجار المزهرة، وعجقة الناس لا توصف. وعلى شرفة مطعم، يجلس الزوار تحت شماسي مقلمة ويتنشقون هواء المساء المنعش.

صرخت غير قادرة ان تكبت احاسيسها:

«يا لهذا الجمال!».

قال بيترو ضاحكاً:

«نعم. وهناك سياح كثيرون في عطلة عيد الفصح».

سألته سوزان وهي تلاحظ انه يتجه خارج القرية:

«لكن أين يعيش ابن خالك؟».

وفي اشارة من يده دلها الى اعلان، في نهاية منحدر، يقول «قصر فالكونيه». ولا شعورياً حبست سوزان أنفاسها عندما أسرع بيترو وهو يقترب من المنحدر.

وتوقفت السيارة أمام باب حديدي كبير، اطاره أشجار ضخمة، وخرج من السيارة. فلاحظت سوزان المنزل من وراء الحديد وبدأ قلبها ينبض في جنون. ويكفي رؤية الشعارات التي تعلو المدخل الكبير لمعرفة ان هذا المسكن من أغنى القصور الايطالية.

ولما صعد بيترو الى السيارة، صرخت في لهجة معاتبة:

«لكن لماذا لم تخبرني شيئاً عن كل هذا؟».

أجابها من دون أن ينظر اليها:

«لو قلت لك، فهل كنت تقبلين بالمجيء؟».

«ربما لا».

«هذا ما كنت أتوقعه».

«لكن، يا بيترو، لا يمكنني ان أبقى هنا!».

«لماذا؟».

اجابته:

«اخيراً، يا بيترو. أرجوك ان تفهمني... اذا كنا عند ابن خالك...».

«لماذا انت قلقة، يا سوزان؟ أؤكد لك انه ليس برجل ملياردير، اذا كان هذا الذي يقلقك!».

«لا أصدق ما تقوله!».

«هل تعتقدين ان التضخم المالي المرتفع والضرائب المالية، غير موجودة الا في انكلترا؟ لم يعد هناك وجود للثروات الضخمة في ايطاليا...».

«لكن... هذا... هذا المكان...».

هزّ بيترو كتفيه ثم قال:

«ما ترينه يا سوزان، متحف. الغرف مليئة بالأثاث واللوحات، والخزانات الزجاجية تعج بالخزف والكريستال والفضة والمجوهرات، ورفوف الكتب المغلفة بأغلفة رائعة وثمينة ولا احد يفتحها. انها مقبرة حقيقية. بعد بضعة أسابيع يصل السياح وأمي تطوف بهم في القصر. يشترون دليلا وبعض الهدايا التذكارية والبطاقات البريدية. هل تفهمين الآن؟».

فوجئت سوزان بلهجة بيترو الشرسة والمليئة بالاحتقار.

«لكن... كل هذه اللوحات... كل هذه الأشياء... التحف... لا شك ان ثمنها مرتفع، أليس كذلك؟».

«طبعاً».

«اذن... لماذا... أريد ان اقول، في هذه الأيام الناس تتمنى شراء أشياء كهذه!».

نظر بيترو اليها ساخراً ومصدوماً وقال:

«سوزان! ما بالك! ان ما تقولينه الآن يعتبر انتهاكاً وتدنيساً!».

«حسناً! ما أفهمه ان ابن خالك يرفض بيع محتويات القصر!».

قال بيترو وهو يخرج من سيارته ليغلق الباب الحديدي:

«نعم. كلامك صحيح».

ولما عاد اعتذر منها قائلا:

«المعذرة يا سوزان لعصبيتي القوية. لكن أنانية ابن خالي تجعلني مريضاً. ربما تتساءلين ايضا اين نسكن. اننا نسكن في الجناح الغربي. كما سترين، فالقصر مبني وحوله ساحة ورواق خارجي يستعمل للأيام الحارة، وفي وسط الساحة، بركة ماء. اني متأكد ان القصر سيعجبك».

بدأت سوزان تشك في الأمر. طبعاً كيف لا يعجبها القصر وأروقته المسقوفة بعقود الياسمين، وبلاطه الرخامي الملون؟ لكن ان تسكن فيه فهذا شيء آخر...

وفجأة ظهر رجل عجوز حياهما بدون حرارة فاستغربت سوزان هذا الاستقبال البارد، والمعروف ان بيترو غائب عن ايطاليا منذ مدة طويلة. لكن بيترو لم يلاحظ استغراب سوزان ولا استقبال العجوز البارد واكتفى باخراج الحقائب من صندوق السيارة وأشار لسوزان بأن تتبعه.

حل الغسق. ولما رأت سوزان من خلال أوراق الشجر الاضواء داخل القصر شعرت بقلبها ينبض بسرعة قوية. وبالرغم منها، بدأ لغز هذه العائلة يشغلها وكانت ترغب في ان تعرف المزيد عن هؤلاء الأشخاص الذين يعتبرون كل هذه الروعة شيئا سخيفاً.

ودخلا في بهو طويل، أرضه من البلاط الابيض ومضاء بالثريات البرونز المصقولة بأناقة. وبين الركائز والاعمدة سارا وعينا سوزان تنظران الى السقف في انبهار أمام هذه الدعامة الفنية. وهنا وهناك المرايا المحفورة الموضوعة على الأثاث العاجي والضخم...

وضع بيترو الحقائب وهو ينظر اليها نظرة متسامحة وقال في جفاف:

«أرى انك تستحسنين الفن والهندسة المعمارية. تعالي الآن، يجب ان نحيي والدتي».

لم تحبذ سوزان هذه الفكرة وهي تنظر الى سروالها الأحمر المخملي

الذي يبدو متناقضاً مع هذا الاطار والجو. لكن كيف في امكانها ان تتصور مسبقاً ماذا ينتظرها!

وفي هذه اللحظة انفتح باب على اليسار وظهر شبح طويل مشوه، فتقلصت سوزان وعرفت انه صاحب المكان، صاحب قصر فالكونيه.

وبادىء الأمر جذبتها عيناه، تلك العينان الرائعتان، بلونهما الاخضر الفاتح، والمحاطتان برموش سميكة وسوداء.

كانت تظن انها سترى رجلا أصغر سناً، ذلك لأن بيترو في العشرين من عمره، وكانت تعتقد ان ابن خاله لا بد ان يكون في سنه. كلا، ان مارشيللو دي فالكونيه يبدو في الأربعين من العمر، وشعره الأسود السميك يحتوي على بعض الشعيرات الرمادية. انه طويل اكثر من المعدل المعروف عند الايطاليين. وجسمه النحيف والمعضل يستند الى عكازتين. خطواته بطيئة وغير واثقة. ويبدو من تقلص ملامحه انه يشعر بألم حاد. والكدمات في وجهه وعنقه تظهره غريباً وشيطانياً.

قال بيترو وهو يقترب نحو ابن خاله، مشيراً الى سوزان ان تتبعه:

«مساء الخير، يا مارشيللو، لقد وصلنا لتونا. أقدم لك... صديقتي، سوزان هانت. سوزان، هذا ابن خالي، الكونت دي فالكونيه».

قال مارشيللو في لغة انكليزية جيدة جداً:

«مساء الخير يا آنسة. آسف اني غير قادر ان أسلم عليك باليد، لكن، اهلا وسهلا بك في قصر فالكونيه».

قالت سوزان وهي تنظر الى بيترو في انزعاج:

«شكراً، يا سيد فالكونيه. اني... هذا لطف منك ان تسمح لي بالمجيء الى هذا القصر».

«والدتك في الصالون الصغير، يا بيترو. انها تنتظر وصولك بفارغ الصبر، والآن أرجو ان تعذراني...».

كان يتكلم باللغة الانكليزية، لكن بيترو قاطعه في شدة قائلا:

«سوزان تتكلم الايطالية بطلاقة. فلا داعي ان تبرهن لها ان لغتك الانكليزية رائعة».

أمام هذه الوقاحة المتعمدة، اكتفى مارشيللو دي فالكونيه بالنظر الى ابن عمته في سخرية وقال في لغة ايطالية:

«وهكذا تتمكن من أن تفهم ما تقوله يا بيترو، أليس كذلك؟».

تجهم وجه بيترو، لكن مارشيللو اكتفى بما قاله وباشارة من رأسه تجاه سوزان، ابتعد في خطوات متعبة.

فقال بيترو لسوزان وهو يتأبط ذراعها:

«تعالي يا سوزان. من هنا الصالون الصغير».

وبينما كانت سوزان تمر في الغرفة التي خرج منها مارشيللو دي فالكونيه، ارادت ان تسرق النظر الى هذه القاعة. فلاحظت ان سقف الغرفة مرتفع وأثاثها معتدل، وأحد جدرانها مليء بالكتب المغلفة والموضوعة على سلسلة رفوف عريضة. ولما وصلا امام الباب، ظهرت منه فتاة تتجاوز العاشرة من العمر وراحت تتعلق بعنق بيترو وتصرخ بفرح وانفعال:

«بيترو! بيترو! تصورت انك لن تصل بسهولة!».

وبعد العناق والقبل، وضع بيترو الفتاة أرضاً وتوجه نحو امرأة عجوز جالسة على مقعد قرب مدفأة حطب مصنوعة من الرخام. وقال بحرارة:

«كم أنا سعيد لرؤيتك يا امي».

وفي هذا الوقت، التفتت الفتاة نحو سوزان غير قادرة ان تخفي فضولها. انها فتاة عادية، بشرتها سمراء كما هي حال معظم سكان البلدان الحارة. وشعرها الاسود مسرّح بلباقة، لكن ملابسها غير لائقة بها، وتضيف لها عمراً، لدرجة الاهمال، كأن لا احد يهتم بها كما يجب.

ابتسمت سوزان بقوة وقالت:

«صباح الخير. ادعى سوزان، وأنت؟».

وقبل ان تتمكن الفتاة من الرد، سمع صوت السيدة فيتاليه تقول:

«ايلينا! تعالي الى هنا. في الحال».

أطاعت ايلينا من دون تذمر ولحقت بعمتها، تاركة المرأة الغريبة وحدها على عتبة الباب.

وفكرت سوزان مندهشة: هذا ما يسمونه بالصالون الصغير. انه كبير وشاسع كصالون فندق درجة اولى. . . جدرانه مزينة باللوحات الخشبية المرسومة وجميعها تمثل مشاهد الصيد. وأمام نظرات السيدة فيتاليه المتعالية الجالسة في مقعد ضخم، المغلف بالسجاد العجمي والمصنوع من الخشب المطلي والملمّع، شعرت سوزان انها تشبه الظبية التي يلحق بها عدد من الكلاب الجائعة.

وبيترو كان ينظر ايضا الى سوزان، لكن في لطف وأشار لها ان تتقدم ليقدمها الى امه. وبينما كانت سوزان تقترب رأت ان والدة بيترو طاعنة في السن اكثر مما كانت تتصور.

وبعدما استقبلت سوزان في نوع من التأسف المكتوم، ربما لأن بذلتها الحمراء وقحة، طرحت عليها المرأة العجوز عدداً من الاسئلة. فحاولت سوزان الاجابة عليها قدر الامكان. ولما علمت المرأة العجوز بطلاق والديها، اشمأزت وقالت للفتاة ان الطلاق [illegible] و[illegible].

وكان بيترو ينظر اليها في تأسف كأنه يقول لها: «أرجوك لا تهتمي بما تقوله». للحال كبتت سوزان ما كانت على وشك قوله وقالت للفتاة الصغيرة:

«ايلينا، يا له من اسم جميل!».

لكن لم تترك لها الوقت للرد اذ ان السيدة فيتاليه جذبت الفتاة نحوها وقبلتها على خديها وهمست تقول لها:

«والآن، الى فراشك، يا ايلينا. وغداً سترين بيترو مطولا

وتثرثرين معه».

تجهمت ايلينا لكنها عانقت بيترو من دون ان تقول له شيئا، وبعد ابتسامة صغيرة لسوزان وعمتها، خرجت راكضة. وشاهدتها سوزان تذهب رغماً عنها، وشعرت بانزعاج مرة اخرى.

قالت السيدة فيتاليه من جديد:

«أنت تعملين في فندق، يا آنسة، كما قال لي بيترو».

«نعم، العام الماضي أقمت بضعة أشهر في ريميني».

قالت المرأة العجوز في احتقار:

«ريميني! جنة السياح!» أهذا كل ما تعرفينه في ايطاليا؟».

«طبعا لا. لقد زرت روما والبندقية وعندما كنت في ريميني قمت بزيارة فلورنسا عدة مرات».

«وأي بلد تفضلين يا آنسة؟».

خيّل لسوزان ان هذا السؤال امتحان لها، وجوابها سيؤثر على العلاقة المستقبلية بين والدة صديقها وبينها. ثم أنّبت نفسها على هذه الأفكار. فلن تبقى هنا سوى أربعة ايام، فلماذا لا تكون صريحة في الرد عليها؟

فقالت بدون تردد:

«أحب فلورنسا، بلد الزهور!».

«آه صحيح! تحبين فلورنسا؟».

لان تعبير السيدة فيتاليه وتنفست سوزان الصعداء.

الظاهر انها وقفت في جانبها.

«انه البلد الذي افضله، يا آنسة. فهو مهد الحضارة».

قال بيترو:

«ان والدتي ضليعة في الفن والهندسة المعمارية في عصر النهضة».

تجرأت سوزان في القول:

«لا شك اذن انك تحبين هذا القصر».

أجابت السيدة فيتاليه في نبرة جافة:

«اني احب قصر فالكونيه. لكن لا احب ان افتحه للسياح الأميين الذين يتدخلون في كل شيء...».

قال صوت خفيف:

«عمتي لويز!! اني متأكدة من ان الآنسة هانت لا توافقك، أليس هذا صحيحا، يا آنسة؟».

التفتت سوزان ورأت امرأة جميلة تقف على عتبة الباب. انيقة في كل شيء: من رأسها حتى قدميها. راحت سوزان تتأملها ولاحظت بعض التجاعيد في زاوية عينيها وفمها. لا شك انها اكبر سناً مما تبدو عليه.

صرخ بيترو:

«صوفيا!».

اقترب منها وضمها بين ذراعيه في حنان. وتجاوبت معه الى درجة ان سوزان كانت تشك في علاقتهما لو لم يحدث ذلك امام والدة بيترو.

اخيراً احتجت وهي تتخلص من ذراعيه وتسرح شعرها الأسمر وتقول:

«بيترو، انت تخرب تسريحة شعري!».

ثم التفتت نحو سوزان وقالت بابتسامة حارة وفضفاضة، كانت اول ابتسامة تتلقاها سوزان منذ وصولها الى قصر فالكونيه:

«وهذه هي صديقتك الانكليزية. اهلا وسهلا بك في كاستيل فالكونيه، يا آنسة. أتمنى لك اقامة سعيدة بيننا».

وقال صوت ساخر من ورائها:

«اذا تدخلت في الأمر يا صوفيا فلن يحصل ما كنت تودينه للآنسة».

التفتت سوزان وشاهدت سيد المنزل يدخل.

تقدّم بيترو خطوة الى الأمام، مستعداً للرد عليه، لكن صوفيا اوقفته في حركة من يدها المليئة بالخواتم البراقة.

فقالت في لهجة خنيقة خففت من حدة الجو:

«والآن، انت مسرور لمزاجك التافه، يا مارشيللو، أليس كذلك؟ آنستي، هل سبق أن التقيت بزوجي؟».

أجاب مارشيللو في برود وهو يلقي الى سوزان نظرة حارة:

«نعم. العشاء جاهز، يا عمتي لويزا. لوسيا طلبت مني اعلامك بالأمر».

٢- زهرة الوزال

ارتجفت أصابع سوزان قليلاً وهي تحاول في اقل ضجة ممكنة فتح الباب الزجاجي الذي يطل من غرفتها على الشرفة. انها لا تريد ازعاج احد. لكن بعد ساعات طويلة قضتها تتقلب في سريرها غير قادرة على النوم، شعرت بأنها لم تعد تطيق ذلك وانها في حاجة الى استنشاق الهواء.

وانفتح الباب بسهولة فتنفست الصعداء وشعرت بارتياح كبير. ما اطيب الهواء المنعش على بشرتها الرطبة! اغمضت عينيها لحظة وهي تدفع شعرها الى الوراء بحركة من يدها.

القت نظرة خاطفة نحو الغرفة. انها حقاً غرفة جميلة والسرير مريح. لكنها متوترة كثيراً، فلن تستطيع النوم. اشياء كثيرة تدعها

مستيقظة! ولم يتغلّب تعب الرحلة على ذكرى السهرة التي امضتها.

راحت تتمشى في الشرفة. في الساحة الصمت يعمّ، تقطعه من وقت الى آخر ريح آتية من القمم، تعصف في هدوء بين اعمدة الرواق الخارجي. فجأة ارتعشت برداً فهي لا ترتدي إلّا قميص نوم شفافاً. والطقس بارد اكثر مما كانت تتصوّره. ومع ذلك لم تكن ترغب في العودة الى غرفتها لتجد نفسها من جديد متوترة والهموم ثقيلة على وسادتها.

من بعيد سلسلة الجبال المتقطعة تبرز بوضوح في الافق. وتساءلت سوزان كيف في امكان الانسان ان يعيش في مثل هذا الاطار البديع من دون ان يشعر بالخلود؟ ولهذا هل يحق له ان يعامل قريبه في احتقار؟ كانت سوزان مقطبة الحاجبين، مرتبكة، وهي تفكر بسكان القصر الخمسة الذين يشكلون كل نوع للعلاقات الانسانية. وبدأت تدرك الآن لماذا كان بيترو كتوماً فلم يحدثها عن عائلته. كيف بامكان اي انسان ان يشرح الوضع الذي يسيطر على قصر فالكونيه؟

وتصرف بيترو هذا ليس من السهل ان يفهمه احد. صحيح ان والدته تتمتع بأخلاق صعبة للغاية، لكنها امرأة عجوز وهذا عذرها. وبيترو يحب والدته كثيراً كما يحب الفتاة ايلينا ووالدتها صوفيا. لكنه يبدو في صراع دائم مع ابن خاله. اما بالنسبة الى صوفيا، فيبدو انّ زوجها يجعل من حياتها جحيماً. انها تبدو امرأة لطيفة. وهي ابدت اهتماماً كبيراً لما تقوم به سوزان من اعمال، والحياة التي تعيشها والبلدان المختلفة التي زارتها.. انها الانسان الوحيد الذي عرف كيف يجعلها تشعر بارتياح خلال العشاء الطويل.

غير ان سوزان ما زالت ترتعش وهي تتذكر تصرف مارشيللو دي فالكونيه. كان يرتدي بذلة سوداء تتناسب مع نظرته الشيطانية. ترأس المائدة في غرفة الطعام الرائعة، في استبداد بارد. اضواء الشموع المعطرة الشحيحة ترمي ظلالاً متحركة على السقف المحفور، وتخفي الكدمات البشعة في وجه الكونت دي فالكونيه،

والتي تبدأ من عينه اليمنى الى خده ثم عنقه. لم يكن يرتدي ربطة عنق، وكانت سوزان تقوم بجهد كبير كي لا تنظر الى المكان حيث تنتهي هذه الكدمات تحت ياقة قميصه الحريرية المفتوحة.

لكن لم يكن منظره الخارجي سبب اضطرابها. انّ وجهه المقطب لا ينفرها. بل العكس هو الصحيح، كانت تشعر بانجذابها الى عينيه الخضراوين ونظرته الثاقبة. كلا. إن تصرفه الغامض تجاه زوجته يحير سوزان ويثير سخطها. خلال العشاء حاولت صوفيا عدة مرات ان تجعل زوجها يشترك في الحديث. وفي كل مرّة كان يرد عليها بعنف كأنه يشعر بلذة في معاملتها بقسوة. وهي كانت تكتفي بتجاهل هذه الوقاحة بابتسامة متردّدة وتتابع حديثها مع سوزان كأن شيئاً لم يكن. لكن بيترو كان متقلص المعصمين على استعداد لبدء المعركة. لكنه لم يفعل...

ويبدو قلقاً ومضطرباً لتصرّف ابن خاله تجاه صوفيا. هذا شيء طبيعي. ومن جهة ثانية كان مارشيللو يعامل عمته في لطف ورقة، لذلك لا يمكن اعتباره شخصاً فظاً. اذن لماذا يعامل زوجته هكذا؟ ولماذا لا تعامله بالمثل؟

خفضت نظرها نحو اصابعها المتقلصة وفي الوقت نفسه لاحظت ظلاً يتحرك في الساحة. فانتفضت فجأة ورجعت الى الوراء وشعرت بحلقها يجف.

كادت سوزان تصرخ عالياً وهي ترى مارشيللو دي فالكونيه. كان يعرج قليلاً، لكنه كان يمشي من دون عكازيه وفي طريقة واضحة.

ولبضع لحظات ظلّت جامدة تحبس انفاسها. لكنها اقنعت نفسها بان لا علاقة لها بكل مما يجري هنا، فرجعت الى الوراء في صمت حتى وصلت الى باب غرفتها. لكنها لم تستطع الامتناع عن طرح اسئلة عديدة. ماذا يعني كل هذا؟ مارشيللو يتمشى في ساحة القصر، الساعة الثانية صباحاً، وحده، ومن دون عكازيه؟ من على علم

بذلك؟ هل افضى بسرّه الى احد؟ ربما هذا هو السبب الذي من اجله يعامل زوجته في احتقار. لا شك أنّ صوفيا لا تعرف ان زوجها يمشي بدون عكازين، والاّ لما تصرّفت تجاهه في طول بال. لكن ما هو السبب الذي من اجله يحافظ على هذا السرّ، ويرفض ان تفرح عائلته عندما تعرف انه شفي؟

بدأت مخيلتها تغلي، فتمددت على السرّير ونامت لتوها.

استيقظت لدى سماعها طرقات على الباب. وخلال لحظات عديدة، وجدت صعوبة في استعادة وعيها، لكن لدى رؤيتها باب الشرفة مفتوحاً، استردّت وعيها وقالت وهي تنتصب في سريرها:

«ادخل!».

دخلت الخادمة لوسيا، حاملة صينية فضية، وراحت تبتسم بصدق وتقول بالايطالية مقتربة من السرير:

«صباح الخير، يا آنسة».

«صباح الخير، يا لوسيا. كم الساعة؟».

قالت وهي تضع الصينية على ركبتي الفتاة:

«العاشرة والنصف، يا آنسة. هل نمت جيداً؟».

يا الهي! انّ الوقت متأخر! لم يسبق ان استيقظت متأخرة! لكنها تذكرت انها نامت بعد الساعة الثانية صباحاً.

«آسفة لازعاجك، يا لوسيا. فقد اضطررت الى احضار فطور الصباح الى الغرفة».

«ليس هناك من ازعاج، يا آنسة. قال لي بيترو انه لا بدّ ان تكون الرحلة ارهقتك».

وبينما كانت لوسيا تتكلّم، كانت سوزان تتفحّص محتوى الصينية. ركوة القهوة الفضية، وابريق عصير الليمون الطازج، والخبز المسخن والزبدة بشكل أصداف، كلّها موضوعة بأناقة فوق شرشف مطرز. وقرب الصحن وضعت وردة بيضاء رائعة في اناء صغير.

تناولت الزهرة واستنشقت عطرها الناعم. يا لذوق بيترو الرفيع! أخيراً قالت:

«ما اجمل هذه الزهرة. اشكريه عني من فضلك».

قالت لوسيا:

«قطفها الكونت بنفسه من حديقة القصر، صباح هذا اليوم، وهو يقدمها اليك في فرح».

رمت سوزان الوردة جانباً كأن الشوكة شكت بيدها. لا يحق لمارشيللو دي فالكونيه ان يتصرّف هكذا واضعاً سوزان في موقف حرج... الاّ... الاّ اذا كانّ قد لمحها تلك الليلة على الشرفة ولم يجد غير هذه الطريقة ليعلمها بالأمر.

قالت سوزان رافعة ابريق العصير في يد مرتجفة:

«صحيح. اذن، اشكرك. و... اذا رأيت بيترو، قولي له انني سأكون مستعدة قريباً».

«لا تقلقي، يا آنسة. اصطحب بيترو والدته الى القرية. والاحتفال لن ينتهي الاّ بعد وقت غير قصير».

«واين الكونتيسة دي فالكونيه؟».

هزّت لوسيا كتفيها قائلة:

«لا تستيقظ الاّ في ساعة متأخرة من النهار. لا تستعجلي، يا آنسة. انت هنا لقضاء عطلة، اليس كذلك؟ الى اللقاء، يا آنسة».

اغلقت الباب وراءها. وبعد ان شربت عصير البرتقال، سكبت سوزان لنفسها فنجان قهوة وراحت تتأمل الوردة الموضوعة على الصينية. لم يسبق ان رأت وردة بهذا الجمال الكامل، ولا ان تنشقت عطراً لذيذاً كهذا... وتساءلت: لماذا قدّم الكونت هذه الوردة اليها؟ وشعرت بقلبها ينبض في سرعة وهي تتذكر مارشيللو دي فالكونيه.

وضعت الصينية على الطاولة قرب السرير ونهضت وتوجهت الى الباب الزجاجي الذي يطل على الشرفة. هل كان ما رأته امس حلماً؟

هل شاهدت حقاً مارشيللو وهو يمشي من دون عكازيه؟

ورغم تشويش افكارها، كانت تتأمل بسحر، المنظر امامها. من وراء جدار القصر يطل الجبل واشجار الصنوبر والقمم التي ما يزال الثلج يكسوها. وعن قريب، لاحظت وجود شلال ينحدر على الصخور ويصب في مجرى المياه. وفي الوادي ازهار الوزال الصفراء تضيف لمعاناً على العشب الاخضر في المروج.

ووسط هذا المنظر الساحر يبدو القصر وكأنه ينام تحت اشعة الشمس التي تدفىء حجارة جدرانه. والماء يسيل من السبيل مثل باقة قطرات ملونة.

دخلت سوزان الى غرفتها، ثم دخلت الى غرفة الحمّام من باب بشكل قبة. انها من الرخام الاخضر، بنيت حديثاً ولا تبدو غريبة وسط هذا الاطار القديم.

وبعد ان اخذت حماماً كاملاً، راحت توضّب محتوى حقائبها وتعلق فساتينها في الخزانة. فالبارحة كانت متعبة واكتفت بافراغ حقيبتها من الاشياء الدقيقة والسريعة العطب واضعة اياها على الكرسي. وبعدما انتهت من تعليق ملابسها في الخزانة الخشبية المنحوتة، راحت تفكّر بما سترتديه. ولو كانت في ظروف مغايرة لارتدت سروالاً وقميصاً عادياً. لكن في قصر فالكونيه، تبدو هذه الملابس غير لائقة، لأن سوزان كانت متأكدة من أنّ السيدة فيتاليه لم تستحسن بدلتها الحمراء التي ارتدتها بالامس.

اختارت ان ترتدي قميصاً اخضر وتنورة من القطن المعرق التي تظهر نحافة ساقيها الطويلتين. ولم تضع الجوارب لأن الطقس حار، وانتعلت صندلاً من الفلين ثم جلست امام طاولة الزينة تسرح شعرها. اخيراً وضعت في عنقها سلسلة ذهبية وزينت وجهها.

وقبل ان تغادر الغرفة، اقتربت من السرير ونظرت من جديد الى الوردة البيضاء المتروكة على الشرشف المطرز. قامت بحركة لأخذها... ثم غيّرت رأيها. مهما كانت لعبة مارشيللو دي

فالكونيه، فهي لا تريد ان تشاركه هذه اللعبة. فتركت الوردة مكانها لتعود الى صاحبها. ومع ذلك كانت سوزان مضطربة لأن مارشيللو، بهذه الحركة البسيطة، نجح في ان يفقد سوزان برودة اعصابها التي كانت تتحلّى بها، خاصة امام الحاح عبد الفايز المستمر. وراح قلبها ينبض بسرعة وبدأت تلوم نفسها لأنها علّقت اهمية كبيرة على هذا الولاء من جانب رجل ايطالي عاطفي.

أدارت ظهرها للوردة وخرجت من غرفتها وهبطت الى الطابق الارضي سالكة سلالم الرخام، مستندة الى الدرابزين الحديدي المصقول الذي يشكل تحفة فنية صغيرة. اشعة الشمس تدخل بقوة من وراء الزجاج الموزاييك. راحت سوزان تسمع صوت خطواتها على الادراج وحفيف تنورتها فوق ساقيها.

ثم اقتربت ببطء في البهو وهي تعي كل الروائع المحيطة بها. لكنها ارادت ان تكون كتومة، فهي مدعوة وليست سائحة. فقررت للحال الاتجاه نحو الصالون الصغير. وعندما يأتي بيترو تسأله اذا كان في امكانها القيام بزيارة كاملة في ارجاء القصر.

كان باب قاعة الاستقبال مقفلاً. وضعت سوزان يدها على مسكة الباب وترددت في الدخول عندما سمعت خطوات. وعرفت صاحبها والتفتت في عصبية. كان مارشيللو يتقدم على عكازيه، مرتدياً السروال الاسود والقميص الحمراء الغامقة.

وفي وضح النهار كانت كدمات وجهه بيضاء، الى جانب بشرته السمراء الداكنة. ولم تتمكّن سوزان من تجاهل النظر اليه واضطرت ان تقوم بجهد لتزيح نظرها. فقال باللغة الانكليزية مع اشارة في رأسه:

«صباح الخير، يا آنسة. آمل أن تكوني قد نمت جيداً؟».

تساءلت سوزان عن سبب طرحه هذا السؤال بالذات، بينما كانت تحدّق في عينيه الخضراوين الساحرتين. اجابت من دون ان تخاطر بنفسها

«اني... اوه... كان الحر شديداً هذه الليلة. ونمت جيداً. شكراً».

«عظيم».

ومن دون ان يترك عكازيه، اشار نحو الغرفة التي خرج منها البارحة وقال:

«هل تسمحين باحتساء فنجان قهوة معي؟ وتفضلي بفتح الباب...».

كانت لهجته آمرة، فاطاعت سوزان غير قادرة على معارضته.

الغرفة مريحة ومليئة بالكتب المرصوصة على رفوف عريضة. سبق أن مرّت سوزان من هنا بالامس، قرب النافذة، مكتب خشبي تعلوه المستندات والاوراق المختلفة. كراسي ومقاعد جلدية تكمّل أثاث الغرفة. انها غرفة المكتبة، تبدو حميمة اكثر من بقية غرف المنزل التي رأتها حتى الآن.

وبعد ان دخلا، اشار مارشيللو برأسه لكي تغلق الباب. فاطاعت متأسفة لعدم بقائها في غرفتها حتى عودة بيترو. لكن كيف كان بامكانها معرفة أنّ مارشيللو دي فالكونيه سيجد نفسه مضطراً للاهتمام بها في غياب ابن عمته؟

وقفت لحظة جامدة وراء مصراعي الباب، وعيناها تحدقان في النوافذ العالية والابواب الزجاجية التي تطل على ساحة القصر. كانت كلها مقفلة ولا مجال للهرب من هنا.

كان مارشيللو ينظر اليها في حدّة وحرج الى ان شعرت سوزان بانزعاج مثقل. في عملها كانت تتعرّض باستمرار للاتصال بعدد كبير من الرجال، من مختلف الاعمار والجنسيات. وعدد كبير منهم صرحوا لها عن اعجابهم بها. لماذا يثير سخطها هذا الكونت الايطالي الذي يكبرها بعدد لا يستهان به من السنوات، والذي يجر نفسه على عكازين، ووجهه يدعو للشفقة والخوف؟

سألها فجأة كأنه عرف بما تفكر:

«هل تعتبرينني انساناً كريهاً ومنفراً؟».

قالت بسرعة وقد احمرت وجنتاها:

«لا. ابداً!».

«صحيح؟ خيّل اليّ انك لا ترغبين بالبقاء معي!».

هذه الصراحة وترتها، فأجابت في تلعثم:

«لا... انني... كنت اتساءل... متى سيعود بيترو من الكنيسة...».

قال مارشيللو رافعاً حاجبيه ومشيراً اليها للجلوس في احد الكراسي الجلدية الواقعة قرب المكتب:

«آه، صحيح. لن يعود قبل وقت قصير. الا تريدين الجلوس، يا آنسة؟ او تفضلين البقاء واقفة، على استعداد للهرب. اني اؤكد لك ان في امكانك التغلب عليّ في مجال الركض».

تقدّمت سوزان وجلست في الكرسي قرب المكتب. فوضع مارشيللو يده ذات الاصابع الطويلة على ذراع المقعد. وخاتم الماس يلمع في اصبع يده اليسرى. خجولة من مواجهته وجهاً لوجه، تركت سوزان نظرها يسرد على المكتب المليء بالاوراق حيث شاهدت في وسطه مجرة من الذهب وتمثالا من البرونز يمثل ثوراً. انها تحفة صغيرة وسوزان تحدّق بها غير قادرة على ازاحة نظرها عن التمثال.

«هل تعرّفت الى بيترو منذ مدة طويلة؟».

انتفضت لدى سماعها صوت مارشيللو ورفعت رأسها. كان يحدّق فيها من خلال عينيه نصف المقفلتين. فتلعثمت وهي تقول:

«ماذا...؟ لا. لا. لم اعرفه منذ وقت طويل».

«منذ متى تعرفينه؟».

«اني... لا اتذكر بالضبط. منذ شهرين تقريباً...».

«هذا واضح. و... هل تعتقدين انك تعرفينه جيداً؟».

أجابت سوزان في انزعاج امام نظرته الثاقبة:

«أوه... اعرفه كفاية...».

«وهل تعتقدين ان الوقت يلعب دوراً اساسياً هنا؟».

«نعم. بالضرورة. وما رأيك انت؟».

لم يرد. وفي هذه اللحظة بالذات طرق الباب وشعرت سوزان بارتياح وأبعدت نظرها عنه. دخلت لوسيا حاملة صينية القهوة التي طلبها مارشيللو. وعلى الصينية فنجان واحد. فطلب منها مارشيللو احضار فنجان آخر.

ولاحظت سوزان نظرات لوسيا وهي تدخل الى غرفة المكتبة. ماذا يا ترى تفكر في شأن علاقة صديقة بيترو مع صاحب قصر كاسيل فالكونيه؟

وبينما كانت الخادمة العجوز تجلب فنجاناً آخر، سكب مارشيللو القهوة في الفنجان الاول، واعطاه الى سوزان التي اضافت ملعقتي سكر من دون ان تنطق بكلمة، ثم راحت تحرك الملعقة داخل الفنجان شاعرة بنظرات الرجل الساخرة التي تحدّق فيها بشراسة.

عادت لوسيا بعد وقت قصير وشكرها مارشيللو بحرارة فأجابته في ابتسامة مسموعة:

«لا شكر على الواجب، يا سيدي. اذا احتجت شيئاً ما...».

«سأرن لك الجرس، يا لوسيا. شكراً».

ولما توارت المرأة عن الانظار، عادت سوزان تخفض عينيها. انها الفرصة المناسبة لتسأله لماذا وضع لها وردة بيضاء على صينية الفطور. لا شك انه لاحظ انّ تصرفه هذا يعطي دلالة خاطئة للخادمة. فتسلّحت بالشجاعة ورفعت عينيها لتلتقيا بالنظرات المحدقة بها. فبدأت تقول:

«يا سيد...».

لكنه قاطعها بقوة قائلاً:

«رأيتك تنظرين باعجاب الى هذا التمثال الصغير. هل انت ملمّة بالاشياء الفنية؟».

«انه... من البرونز، اليس كذلك؟ هل هذا تمثال ايطالي؟».

ابتسم وقال وهو يحمل التمثال بين يديه ويداعبه باصبعه:

«كلا، يا آنسة. هذا التمثال الحيواني صنع في مصر، منذ دهور. لكنك على حق، فهو مصنوع من البرونز».

انحنت الى الامام وهمست:

«لا شك انه يساوي مبلغاً كبيراً من المال...».

أجابها في تأكيد وفي بساطة:

«لا ثمن له. بالنسبة اليّ، هذه الاشياء تبدو غير ثمينة، مقارنة باشياء اخرى اجمعها».

ثم سألها وهو يمد يده حاملاً التمثال:

«اتريدين ان تريه عن قرب؟».

«لكن اذا... اخاف ان... يمكنه ان يقع من يدي...».

قال في ابتسامة قصيرة:

«انني اثق بك. هيا، خذيه».

أخذت من يده التمثال جاهدة ألاّ تلمس يد الكونت. تفحصته مطولاً وهي تفكر بمسكن الرجل المصري الثري حيث كان هذا التمثال يزين المكان منذ آلاف السنين.

صرخت فجأة وهي تنظر اليه:

«ألا تخاف ان تفقد مثل هذه التحفة؟ ماذا لو سرقت؟».

أجابها مارشيللو وهو يهزّ كتفيه:

«سأشعر بالأسف لفقدانها. لكني أتساءل احياناً ما اذا كان يحق لي التعلّق بشيء بشكل حميمي. في كل حال، فهو ملكي وحسب».

«لكن لا شك ان عائلتك ملكته قبلك منذ...».

«منذ سنين عديدة. نعم. اعرف ذلك. لكن هذا لا يبدل الامور ولا حتى عندما استغل اسلافي جهل اصحاب هذا التمثال ليمتلكوه بالقوة».

«لكن انت، اتعتقد انك تستحسن هذا النوع من الاشياء الفنية!».

«هل تدافعين عن اسلافي، يا آنسة، او عن شرفي؟».

أصرت وهي تهزّ كتفيها:

«مهما قلت، لا شك انك تفضل ان ترى هذا الشيء بين ايدي اشخاص مثلك، بدلاً من ان تراه عند بائع تاجر غير مبال وغير مهتم بالامور الفنية، اليس كذلك؟».

«ارى ان اناقتي نالت جزاءها، اني سعيد بأن تكوني في صفي، يا آنسة».

شعرت باضطراب لكلامه، فوضعت التمثال الصغير بسرعة على المكتب. يا الهي، انها تعلق اهمية كبيرة على كلامه؟ ولماذا، من جهة ثانية، يبدو انه يرغب في الحصول على موافقتها؟

سألها عندما رآها تحول نظرها عنه وتحدّق في اتجاه ساحة القصر:

«هل هناك شيء على غير ما يرام؟ انّ شركة التامين تصرّ على وجوب اقفال المخارج باحكام خلال الليل. لذلك فقد جهزنا المكان بجهاز امان، يلتقط الاصوات والحركات الخفيفة ولا يسمعه احد غيري. كل حركة مشبوهة تطلق جهاز الخطر الموجود داخل المنزل».

قالت سوزان وهي تتذكر انها فتحت باب الشرفة من دون اي صعوبة:

«اني افهم الآن».

لم تقدر ان تمنع نفسها من الارتعاش لفكرة انّ لصاً ربما اختار الطريق نفسه. فسألها الكونت وهو يتمسك بعكازيه ليقف:

«هل هناك ما يزعجك او يشغل بالك؟».

عضت سوزان على شفتيها ثم قالت:

«اني... اني اتساءل ما يمكن ان يحدث اذا نسي احد سكان المنزل جهاز الانذار وخرج».

اقترب منها وسألها في صوت ناعم:

«مثل ما فعلت مساء امس، مثلاً».

تثاءبت وشعرت بحرج وقالت:

«انت... انت تعرف؟».

«كنتِ على الشرفة في الساعة الثانية بعد منتصف الليل؟ نعم يا آنسة، اعرف ذلك».

«لكن اذن، لا شك انك عرفت اني... اني...».

قال وهو يرفع احد عكازيه:

«انك رأيتني امشي من دونهما؟ نعم، يا آنسة».

ارادت سوزان ان تقف هي ايضاً، لكنها اذا فعلت، ستجد نفسها شديدة القرب من مارشيللو دي فالكونيه. همست في صوت غير مسموع:

«اني... اني لا افهم».

«وكيف في امكانك ان تفهمي؟».

فصرخت تقول:

«اذن، انت لم تعد تحتاج الى هذين العكازين؟».

«لم اعد في حاجة اليهما بعد الآن. فقط عندما اكون مرهقاً، وعندما اجد صعوبة في المشي».

وبعد لحظة صمت ثقيلة، اضافت سوزان:

«لكن... ألاّ يزعجك انني عرفت بالأمر؟».

هزّ كتفيه قائلاً:

«لم اقصد ذلك. سمعت صوت الانذار يرن قرب سريري. وكنت في ساحة القصر حينذاك ولم اكن اتوقع ان اراك».

«لكن اذا كان هناك لصوص؟».

قال في ابتسامة صغيرة:

«اهتمامك يؤثر بي، يا آنسة. لكني كنت مسلحاً».

«وربما لا يريدني ان اخبر بيترو بالأمر؟».

«لا يمكنني ان امنعك من ذلك».

«لكن، لماذا لا تقول له انت؟ وستكون زوجتك مسرورة حتماً...».

تقلص فجأة. فعرفت ان ما قالته غلطة. فقال في جفاف وهو يبتعد نحو الباب الزجاجي:

«لا تهتمي باحاسيس زوجتي، يا آنسة. ارجوك».

«اذن... هل تفضل ان احتفظ بالسرّ لوحدي؟».

ادار وجهه وظلّ صامتاً مدة طويلة. فسألته اذا كان قد سمع ما قالته، فقال من دون ان يلتفت اليها:

«لنقل انّ اسباباً خاصة تجعلني ارفض البوح بهذا السرّ. لكن اذا كنت عاجزة عن حفظه، فلن الومك».

نهضت سوزان فجأة وسألته:

«لماذا ارسلت اليّ وردة، يا سيد دي فالكونيه».

استدار في لطف ونظر اليها في سخرية وقال:

«لا شك انك اعتبرت الامر وقاحة، وانّ رجلاً مثلي لا يحق له ان يكون حساساً امام جمال امرأة؟».

«لا افهم ماذا تريد قوله؟».

«ربما انا انسان معاق، يا آنسة، لكني لست ضريراً. واضافة الى ذلك، كنت مصراً على ان اتحدث معك وحققت هدفي».

قالت سوزان في تردد:

«لكن... وما دخل عاهتك بالامر. الا يحق للمعاق ان يبعث بزهرة الى امرأة جميلة؟».

«لا تكوني ساذجة أكثر مما انت حقيقة».

«لا اريد ان اجرح شعورك. لكني لا ارى ما هي العلاقة بين المنظر الخارجي للانسان وشخصيته...».

«تنقصك الجرأة، يا آنسة. يجب ان تعرفي ان الناس تحكم على الشخص من خلال منظره الخارجي. الجمال يقوّي الثقة بالنفس. والذين لا يتمتعون بالجمال يشعرون بمرارة وحزن كبيرين».

«لكن، لست رجلاً حزيناً او مرّاً!».

«وتعتقدين بوجود اسباب لأكون هكذا؟».

قالت من دون تفكير:

«لا. اني اشفق على... الذي يستحق...».

انهى كلامها قائلاً:

«الشفقة؟ لكن هذه الحال لا تنطبق عليّ، في رأيك؟».

تردّدت لحظة وهي تعي المأزق الذي وقعت فيه. فقالت اخيراً في صوت هادىء وواضح وبطيء:

«كلا. لا اشفق عليك، يا سيدي».

ساد صمت ثقيل وشعرت سوزان بالندم. الم تكن وقحة؟ الا يلومها على صراحتها المفاجئة؟

كان يستند في صمت على طرف المكتب. في يد يحمل عكازيه وفي يد اخرى يلمس شعره في حركة آلية. وفي هذه الحركة انفتحت قميصه على الجرح. فقال اخيراً:

«جيد جداً، يا آنسة. الآن، نعرف تماماً اين تقع الامور».

لم تكن قادرة على الرد من كثرة انفعالها. وشعرت بأن شيئاً يحصل لها من دون ان تكون قادرة على ان تفعل شيئاً ما. انّ هذا الرجل يجذبها بسرعة، بطريقة لا تمكن مقاومتها!

٣- رنين اجراس القلب

وفي ارتياح كبير، أزاحت نظرها لدى سماعها الباب ينفتح فجأة. كانت ايلينا، الشاحبة في ثوب حريري نظيف، وفي يدها قبعتها. شرحت تقول:

«أبي. . .».

ثم توقفت، مترددة لدى رؤيتها سوزان واقفة في وسط الغرفة.

كان مارشيللو يستند الى عكازيه، فانتصب وهو يراها تدخل. فصرخت لوسيا التي كانت وراء الفتاة:

«ايلينا! كم مرّة قلت لك ألاّ تدخلي الى مكتب والدك قبل طرق الباب؟ المعذرة يا سيدي».

«لا بأس، يا لوسيا. في امكانك الذهاب الآن. هل عادت

عمتي؟».

قالت الخادمة وهي ترمق سوزان بنظرة خاطفة:

«نعم، يا سيدي. هل تريد المزيد من القهوة؟».

«كلا، شكراً، يا لوسيا».

عندما ذهبت لوسيا نظرت سوزان الى الفتاة الواقفة على عتبة الباب تلعب بشريط قبعتها. هل عصبيتها ناتجة عن وجود سوزان، ام للتوبيخ الذي ناله لأنها دخلت من دون ان تطرق الباب؟

سألها مارشيللو باللغة الانكليزية:

«هل سبق أن تعرفت الى الآنسة هانت، يا ايلينا؟».

ومن دون جواب القت الفتاة بنظرة سوداء الى سوزان. فقالت هذه الاخيرة لتخفّف من حدة الجوّ:

«لقد تبادلنا التعارف مساء أمس، اليس كذلك، يا ايلينا؟».

ظلت ساكتة تفرك بقدميها في عصبية. فقال مارشيللو في قلق:

«ايلينا. طرحت عليك سؤالاً!».

ظلت جامدة، واحنت رأسها من دون ان ترد.

«اني آسف حقاً لتصرف ابنتي اللاأخلاقي».

قالت سوزان في لهجة خفيفة وهي تتجه نحو الباب:

«لا اهمية لذلك. ارجو المعذرة يا سيدي. . . لا شك ان بيترو عاد. . .».

«لحظة، من فضلك».

وبرغم لهجته الآمرة، وضعت يدها على مسكة الباب، عازمة على ان لا تدعه يسيطر عليها. لكنه اجتاز الغرفة في سرعة من دون الاتكاء على عكازيه وتمسّك بذراعها بقوة كادت ان تصرخ منها. وفي سرعة، اوقع احدى عكازيه، فأسرعت ايلينا لتلمّها، فسألها مارشيللو:

«هل ستخبرين بيترو كل ما سمعته ورأيته؟».

قدّمت ايلينا العكاز الى والدها وتخلصت سوزان من قبضته في

ارتياح، وقالت وهي تحك ذراعها المؤلمة:

«لست هنا الا لأيام قليلة، يا سيدي، ولا أنوي التدخل في أمور لا تعنيني».

ومن دون انتظار ردة فعله، خرجت بسرعة من الغرفة.

وبعدما اجتازت البهو الكبير، وقدماها ترتجفان انفعالا، خرجت من جهة الساحة وتنفست الصعداء مثل سجين استعاد حريته.

ظلت تتقدّم نحو السبيل المنعش، وأشعة الشمس تعكس نورها في كل مكان. وجلست على طرف البركة الرخامية، وسرحت في افكارها تاركة اصابعها تتبلل في ماء السبيل، بينما كانت تتأمّل تمثال حورية في وسط المياه. وأخيراً، التفتت فجأة، فلم تر احداً وراء زجاج مكتب مارشيللو وشعرت بحماقتها. وكانت على وشك الاشاحة بنظرها عندما رأت شيئاً يتحرك في شرفة الطابق الاول. رفعت عينيها وشاهدت وجه صوفيا دي فالكونيه المتقلص.

قالت في استغراب:

«آه، صباح الخير، يا سيدة فالكونيه».

الظاهر أن المرأة كانت قد استيقظت لتوها من النوم. شعرها مشعث وهي ترتدي قميص نوم حريرياً شفافاً.

«صباح الخير، يا آنسة هانت. هل انت من المعجبات بأفروديت؟».

قالت سوزان وهي تغمز بعينيها في ارتباك تحت اشعة الشمس القوية:

«افروديت؟ آه، تعنين التمثال...».

قالت صوفيا في جفاف:

«لا اعتقد ان افروديت تحب ان تنال مثل هذا الوصف. هل هناك ابعد، او اجمد من تمثال على قاعدته؟ ان الذين يعشقون افروديت، رمز الحب، يحمرّون خجلا لدى سماعهم ما تقولينه».

لم تكن سوزان تنوي الدخول في حوار حول هذا الموضوع. يكفي

ما عانته. فغيرت الحديث وقالت:

«الطقس جميل، ما رأيك؟».

بدا على صوفيا خيبة الامل، واجابت وهي تهزّ كتفيها قبل ان تدخل الى غرفتها:

«يوم كهذا، ارى مثله كل يوم، يا آنسة».

هل هذه غرفتها، او غرفة... آه... لا دخل لسوزان بالأمر... لديها احساس بأن صوفيا تنام في غرفة مستقلة... لكنها قرّرت ان تحاول عدم التفكير بكل هذا وعادت تنظر في السبيل. وخيّل اليها أنّ التمثال الرخامي يحدّق فيها بعينيه الفارغتين وفي سخرية. ابتعدت سوزان نحو بقعة مزروعة بالزهور.

«آه، سوزان، انت هنا! اني ابحث عنك في كل مكان!».

شعرت بارتياح لسماعها صوت بيترو، الذي كان يرتدي سروالاً من الكتان وقميصاً معرقة.

«آه، اني آسفة...».

قال في ابتسامة حنون:

«تريد الوالدة ان تأتي لاحتساء الشاي معها. هل اشتقت اليّ؟».

كانت سوزان تفضّل ان تبتعد ولو لفترة عن جوّ المنزل الخانق وتبقى وحدها مع بيترو. لكن كيف في امكانها ان تقترح عليه مثل هذا الامر من دون ان يتساءل عن السبب؟ لذلك اكتفت بالرد عليه قائلة:

«قالت لي لوسيا انك ذهبت الى الكنيسة. اني آسفة جداً لأني لم استيقظ باكراً لأذهب معكما».

قال وهو يتأبط ذراعها ليدخلها الى القصر:

«آه، لم افكر ان اقترح عليك ذلك. اني سعيد انك قضيت ليلة جميلة. ليس من السهل دائماً النوم في سرير غريب، لكني اعتقد انك بسبب الوظيفة التي تشغرينها فقد اعتدت على ذلك».

قالت في قهقهة حرّة:

«آه، لو سمعوك، لاعتقدوا اموراً اخرى!».

وكانا ما زالا يضحكان وهما يدخلان الى الصالون الصغير حيث تنتظرهما السيدة فيتاليه.

قدمت لهم لوسيا الشاي والحلوى الناشفة وسوزان كانت تفضل ان تحتسي شراباً منعشاً، لكنها قبلت الشاي في تهذيب. وكانت الخادمة ترمقها بنظرات متآمرة، وفي داخلها كانت سوزان تلعن مارشيللو الذي كان السبب في كل هذا. بماذا تفكر يا ترى؟ كم ان الناس معقدون في هذه البلاد!

لم يلاحظ بيترو انزعاجها، فاستمر في الثرثرة في فرح بأمور شتى، وشيئاً فشيئاً استرخت سوزان. وفي الوقت الذي اقترح بيترو القيام بنزهة في الحديقة، دخلت صوفيا في خطى لامبالية، ترتدي سروالاً ابيض وقميصاً وردية وتضع حول عنقها منديلاً حريرياً معرقاً. قبّلت عمتها، وداعبت خد بيترو وابتسمت لسوزان وقالت:

«اني ذاهبة، يا عمتي لويزا».

اطلق بيترو زفرة تعبر عن خيبة امله فقالت له:

«يجب ان اذهب، يا عزيزي. لقد سبق ان وعدت وانت تعرف معنى ذلك».

احتج قائلاً:

«لكني وصلت بالامس، وانا مشتاق اليك».

قالت في صوت مليء بالوعود وهي تلامس مرّة ثانية خده:

«ما بالك. انت هنا لقضاء بضعة ايام، اليس كذلك؟».

شعرت سوزان ببعض الانزعاج، اذ انها تعتبر مثل هذه العلاقات غامضة. هل هذا هو السبب الذي يجعل مارشيللو يتصرف هكذا تجاه زوجته؟ هذا مستحيل، لأن صوفيا تبدو انها تكبر بيترو باكثر من عشر سنوات.

انتفضت فجأة بعدما لاحظت أنّ السيدة فيتاليه تراقب وقاحة صوفيا وبيترو في اشمئزاز ظاهري. هل تشك هي ايضاً في هذه

العلاقة؟

أخيراً قالت صوفيا وهي تتوجّه نحو الباب:

«سأراك في المساء على العشاء، يا آنسة. الى اللقاء، عمتي لويزا. الى اللقاء يا بيترو».

وبعدما خرجت صوفيا قالت السيدة فيتاليه:

«ما كان يجب ان تشجعها، يا بيترو»

احمرّ بيترو ولم يرد، نهضت سوزان وقالت:

«اقترحت عليّ ان تأخذني في نزهة داخل الحديقة، يا بيترو...».

«نعم. سنذهب في الحال. بالاذن، يا امي».

وراحا يتنزهان في الحديقة. وكانت سوزان تنظر الى رفيقها الصامت في حيرة، متسائلة ما اذا كان بيترو يفكر في صوفيا. فجأة ومن دون تفكير سألته:

«كيف وقع الحادث لأبن خالك؟».

كان بيترو منغمساً في افكاره، فلم يفهم سؤالها في الحال. ثم قال بعد لحظات وفي صوت قاس:

«حادث مارشيللو؟ وقع في الوادي».

«في الوادي! كيف؟».

قال بيترو في جفاف:

«بينما كان يمارس رياضة التزلج. مع انه يمارس هذه الرياضة ببراعة تامة».

«آه!».

كانت سوزان تعتقد أنّه تعرض لحادث سيارة...

«وقبل الحادث، كان يمضي ايام العطل في كورتينا».

كانت لهجة بيترو قاسية فقالت:

«ليست الغلطة غلطته!».

«بلى! كان منتشياً عندما وقع الحادث. ما كان يجب ان يقوم بالتزلج وهو في هذه الحالة».

قالت سوزان في استغراب:

«انت عديم الشفقة. الناس تموت في مثل هذا الحادث، احياناً!».

قال بيترو في سخرية:

«ارى انه وجد من يدافع عنه».

«لا! لا يحق لك ان تقول ولا حتى ان تفكر مثل هذا الشيء المؤسف. ليس لأنك غير متفق معه بالطريقة التي يتبعها للمحافظة على التراث كي. . .».

قال بيترو في احتقار:

«التراث! اشياء لا تتحرّك! متحف! لا، ان ابن خالي هو اكره رجل على الارض. هل رأيت كيف يعامل زوجته! لا، لا يمكنني ان اسمح بذلك!».

أحنت سوزان رأسها ولم ترد. ما يقوله بيترو صحيح. ان مارشيللو يتصرّف مع زوجته بطريقة غريبة. لكن الأسباب التي جعلته يفتح منزله امام الجمهور، تفهمها كلياً. لماذا يبيع الأشياء التي يحبها ما دام باستطاعته اعالة عائلته كما يجب؟ هل هذه انانية ان يتقاسم مع الآخرين حب الاشياء الفنية والتحف الرائعة التي تملأ القصر؟».

بعد لحظة صمت، اضافت:

«عندما سقط مارشيللو في قعر الوادي، ماذا حدث له؟».

«تريدين معرفة كل التفاصيل؟ حسناً. لقد كسر ساقيه والعمود الفقري. وبعد خروجه من المستشفى، قضى اكثر من سنة على الكرسي الجرار».

«و. . . ماذا عن الكدمات في وجهه وعنقه؟».

«انها ناتجة عن اغصان اشجار الصنوبر، على ما اعتقد. . . لست قاسياً واعرف انه تألم كثيراً. لكن هذا لا يبرر تصرفه السيء تجاه صوفيا، ووقاحته تجاهي. لا تعرفين كم يبخل عليها. . .».

لا يبدو ان صوفيا محرومة من امور كثيرة. ووجدت نفسها منفعلة وهي تتخيّل جسم مارشيللو المحطم والمليء بالدم، والواقع في قعر الوادي في كورتينا. يا ترى كيف كانت ردّة فعل صوفيا لدى معرفتها خطورة الحادث الذي تعرّض له زوجها؟

لاحظت فجأة كيف كان بيترو ينظر اليها في فضول، فهزّت كتفيها وغيّرت الحديث سائلة:

«ما هذا الجناح الصغير المغلّف بالعرائش والكروم؟».

«انها استراحة لطيفة. امرت ببنائها والدة مارشيللو. كانت ملجأ خلال الحرب، خاصة عندما كان القصر مصادراً كمركز رئيسي لقيادة الجيش. وفي انكلترا، حدث شيء مماثل، اليس كذلك؟».

«نعم. طبعاً».

«ولحسن الحظ، لم يكن سكان القصر آنذاك من البرابرة، ولم يدمر شيء ولم يسرق شيء».

كانا قد وصلا الى السلالم التي تؤدي الى الاستراحة الصغيرة واضطر بيترو الى ان ينزع بعض العشب والشوك كي يتمكن من فتح الباب والدخول. فاحت رائحة العفن والرطوبة. كل شيء كان مهجوراً. والمقعد الحجري المبني حول الغرفة من الداخل كان مليئاً ببيوت العنكبوت.

«هل ما زالت والدة مارشيللو. . . على قيد الحياة؟».

«كلا. ماتت نتيجة ذبحة قلبية بعد حادث الطائرة الذي تعرض له والد مارشيللو وأدّى الى موته عام ١٩٦٨».

«آه، لا شك انّ ذلك كان صعباً لابن خالك!».

«في الوقت الذي قتل فيه والده، كان مارشيللو يعيش في روما مع صوفيا، ويعمل كخبير».

سألته سوزان وهي تخرج من الاستراحة:

«كان خبيراً. . . في التحف القديمة؟».

«طبعاً. مارشيللو هو استاذ في علم الاثريات، ألم تعرفي ذلك؟».

«كلا. كيف بامكاني معرفة ذلك؟ وهذه الاستراحة، للأسف مهملة بهذا الشكل...».

هزّ بيترو كتفيه وقال:

«ميغيل البستاني الوحيد، بالكاد يستطيع صيانة الحديقة من اجل السياح. هذه مشكلة هذا المكان. المصاريف كثيرة وليس هناك المداخيل الكافية لمواجهة ذلك».

صرخت سوزان تقول:

«هل تعني أنّ لوسيا هي وحدها التي تهتم بالمنزل؟».

«كلا. خلال الموسم السياحي، يسمح لها مارشيللو بالاستعانة باحدى فتيات القرية. لكنه يفضل ان يهتم بالاشياء الثمينة والتحف الفنية بنفسه. وهذا عمل يأخذ منه وقتاً كبيراً. انه دوام كامل».

«وماذا تريده ان يفعل؟».

«ان يبيع كل شيء! كل شيء، هل سمعت جيداً! وهكذا يمكن للجميع هنا ان يعيشوا في الترف حتى آخر حياتهم».

اجابت سوزان في سرعة:

«وبعد ذلك؟».

«بعد ذلك؟ لا افهم».

«بلى. بعد موتك وموت الآخرين. المال لا يدوم. هل فكرت باولاد ابن خالك؟».

«هناك ايلينا فقط».

«ستتزوج ايلينا من دون شك وستنجب اولاداً بدورها. لماذا تريد ان يحرم هؤلاء من هذه الكنوز؟».

رفع بيترو عينيه الى السماء وقال:

«يا الهي! كأني اسمع مارشيللو يتكلم! امور كثيرة يمكنها ان تحصل قبل ان تكبر ايلينا وتصبح في سن الزواج، والانجاب! ربما وقعت حرب، او هزة ارضية. الله وحده عالم بالامور! لا يجب ان نفكر بالمستقبل. الحاضر وحده يكفي!».

«وربما هذا كاف لك. لكن الا تفكر بكل هذه الكنوز المبعثرة هنا وهناك والمحفوظة ربما في المصارف، ولا احد في امكانه ان يراها. هذا شيء لا يجب ان نسمح به. هنا، على الاقل الناس يقدرون ان...».

قاطعها بيترو مندهشاً لحماستها:

«وتجدين هذا جميلاً؟».

«نعم. اجد في ذلك نوعاً من العزاء».

«اذن، ارى واضحاً ان مارشيللو لقنك درساً في غيابي... ووجد فيك حليفة له».

احتجت سوزان واحمرت:

«حليفة! ولماذا تعقّد الامور يا بيترو؟».

«آه، اني اعرف ابن خالي اكثر منك، يا سوزان. انه ناجح مع النساء. ولن تكوني المرأة الاولى التي تقع في مخالبه!».

«لا تكن أحمق، يا بيترو!».

«اعترفي بأنك تدافعين عنه!».

ولحسن الحظ كانا قد وصلا الى الرواق وغيّرت سوزان الحديث قائلة:

«اشعر بالغبار يلفني بعد دخولنا الى هذه الاستراحة. سآخذ حماماً. اي ساعة موعد الغداء؟».

«الساعة الثانية. هل تعرفين اين تقع غرفة الطعام؟».

«نعم».

وتوجهت سوزان نحو السلالم، وقررت ان تطرد مارشيللو دي فالكونيه من افكارها.

في غيابها، تمّ ترتيب محتوى حقيبتها داخل الادراج وترتيب السرير ايضاً. لا شك أنّ لوسيا فعلت ذلك.

نظرت الى الساعة. ما زال امامها وقت طويل. فخرجت الى الشرفة واتكأت لحظة على السور وراحت تتأمل المنظر الهادىء

الجميل تحت اشعة الشمس الحارقة. ورأت امامها قرية صغيرة حيث المنازل مجمعة حول كنيسة صغيرة. ثم سمعت رنين اجراس يدخل صداها في الهواء الجامد.

وفجأة لاحظت سوزان انها غير قادرة على ان تبعد افكارها عن صاحب القصر... وبعد تنهّد عميق، دخلت الى الحمام وفرحت بانزلاق الماء المنعشة على جلدها الساخن. وحاولت ان تتخيّل ما يمكنه ان يحدث لو كانت تعرفت الى مارشيللو في احد الفنادق التي تعمل فيها.

في حياتها المعنية، التقت سوزان عدداً لا يستهان به من الرجال والنساء وبعضهم من المعاقين. وما يدهش سوزان، انها لم تفكر به كرجل معاق، بل انها تعتبره رجلاً بكل ما في الكلمة من معنى!

٤- رجل مشوّه

في هذا اليوم، لم تر سوزان مرّة ثانية، لا مارشيللو، ولا صوفيا. وعلى الغداء كانوا أربعة اشخاص، السيدة فيتاليه، ايلينا، بيترو وهي.

لم تكف سوزان عن التفكير بهذه الفتاة الصغيرة المهذبة التي ترعرعت في بيئة أناس كبار، ليس فيها اي ولد من سنها. وهي تبدو منغلقة كليا على ذاتها. لا تتكلم إلاّ اذا وجّه احدهم اليها الكلام. واحست سوزان بانها ترغب في التحدّث اليها واكتشاف ميولها، وان تلهو وتلعب في الحديقة معها.

لكن ما ان انتهت من الأكل، حتى ارسلت الفتاة لأخذ قيلولة النهار، تلبية لأوامر العمة. ولم يتسن لسوزان ان تراها بعد ذلك،

خلال اليوم نفسه.

وبعد الظهر، اصطحب بيترو سوزان الى القرية وأراها الكنيسة التي زارها في الصباح مع والدته. ومثل بقية الكنائس الايطالية، كانت تعج بالتماثيل الرائعة.

قالت سوزان، وانفها مرفوع وهي تتأمل القبب والزجاج الرائع:

«قرأت مرّة عبارة تقول: عندما يرفع الانسان نظره الى السماء، يعي لانهائية الشعور بالروحانيات. ما رأيك؟».

قال وهو يهزّ كتفيه:

«لا شيء. لا يجب ان يؤمن الانسان بكل شيء يقرأه».

«حسناً... هذه الفكرة كانت تعجبني...».

سكتت لحظة ثم تابعت:

«هل تخلد ايلينا الى القيلولة كل يوم؟».

«ايلينا؟ اوه... اظن ذلك. لماذا؟».

«اردت ان اعرف فقط... فكرت لو نصطحبها معنا مرّة، اذا كنت لا تمانع بذلك. لا تبدو انها تتسلى بشيء هنا».

قال بيترو وهو يجرها الى طريق ضيقة:

«عليك ان تتكلمي في الأمر مع والدها، وليس معي».

«لكن، يا بيترو، لا ارى ما يمنع ان نصطحبها معنا».

توقف لينظر بقوة الى عينيها الواسعتين وبشرتها العنبرية، وشفتيها المليئتين ثم انحنى وعانقها وقال في صوت مبحوح:

«اتفهمين السبب الآن...؟».

افلتت منه بعنف وقالت:

«ماذا جرى لك، يا بيترو؟ لم يسبق ان تصرفت هكذا معي. هذه الامور لم يسبق ان حدثت بيننا!».

«هل تريدين ان تقنعيني بأنك تجهلين حقيقة مشاعري نحوك؟».

«في كل حال، احتساء فنجان قهوة ينفعك وينفعني ايضاً».

جلسا امام طاولة تحت الاشجار، واحتسيا القهوة في صمت

ثقيل. يا الهي، ارجو الاّ اجد نفسي اواجه مشاكل جديدة. هذا ما كانت سوزان تفكر فيه بينما كانت تصغي الى اصوات الزبائن والعزف على البيانو.

قالت السيدة فيتاليه لابنها على مائدة الطعام:

«مارشيللو يتناول طعام العشاء عند آل روسي. هل تعرف ان مارينا هنا؟».

هزّ بيترو رأسه واجاب:

«كلا. لم اكن اعرف ذلك. هل ستبقى مدة طويلة؟».

«لا اعرف شيئاً. يبدو انها متعبة وبحاجة الى الراحة. طبعاً ان والدها مسرور لأن يراها معه، فهو يشتاق اليها كثيراً».

تساءلت سوزان في نفسها: عمن يتكلمون؟ من هم آل روسي؟ ومن هي مارينا؟

التفت بيترو نحو سوزان وشرح لها قائلاً:

«آل روسي اصدقاء العائلة. مارشيللو ومارينا ترعرعا تقريباً معاً، رغم انها تصغره سناً. وخالي كان يأمل في ان يتزوجا عندما يكبران. لكن مارشيللو كان في ذلك الوقت يضع في رأسه اموراً مختلفة. وفضل ان يذهب الى روما ويعمل هناك. وهكذا تعرف الى صوفيا. وفي ذلك الوقت كانت مارينا قد انهت دراسة الطب. واليوم تعيش وتعمل في روما».

قالت سوزان:

«الآن، فهمت».

قال بيترو:

«صحيح، اننا نتساءل كثيراً حول علاقتهما الحالية...».

قاطعته والدته قائلة:

«ارجوك، يا بيترو. دعك من هذا الحديث».

احمر بيترو بعنف وقال:

«تعرفين يا امي جيداً أنّ مارشيللو لم يعد يهتم بصوفيا كلياً!».

«ان الحادث احدث توتراً مؤلماً بينهما، هذا صحيح. ولكن لا تظن بأن هناك اكثر من علاقة صداقة بينه وبين مارينا...».

تقلصت شفتا بيترو في عصبية واحنت سوزان رأسها تأكل من صحنها، منزعجة، تشعر بالغيرة من مارينا التي تجهلها...

في الغد، استيقظت باكراً. نامت على الفور رغم توتر افكارها. وفي الثامنة كانت مستعدة. فقد قررت ان تتجاهل معارضة السيدة فيتاليه وأن ترتدي سروالا جيلاً من القطن البرتقالي وقميصاً مقلماً بالبرتقالي والابيض وبدت جذابة تلفت النظر.

وشعرت بالجوع، وقررت النزول لتناول الفطور في غرفة الطعام. وفي البهو، التقت لوسيا التي صرخت:

«صباح الخير، يا آنسة. لقد استيقظت باكراً اليوم!».

«نعم. اعرف اني مبكرة، يا لوسيا. لكن لا اريد ازعاجك».

«ليس هناك ازعاج. فسيدي يتناول فطور الصباح في غرفة الطعام. وفي امكانك مرافقته».

«السيد دي فالكونيه؟ الكونت؟».

«نعم، يا آنسة. وسيسر جداً ان يكون هناك من يرافقه. تفضلي. سألحق بك».

ولما دخلت بعد ان طرقت الباب رأت صاحب القصر جالساً في مكانه الاعتيادي، في طرف الطاولة، يرتدي قميصاً من الحرير الاخضر الغامق مفتوحاً على صدره الاسمر. فبدأ قلبها يدق بسرعة.

قال من دون ان يرفع نظره عن الجريدة التي كانت بين يديه:

«انتهيت، يا لوسيا. شكراً».

لكن ايلينا الجالسة قربه تأكل صرخت تقول:

«لكن، يا ابي، ليس الآتي لوسيا!».

رفع رأسه ووضع فنجانه على الطاولة وقام في جهد وهو يستند الى طرف الطاولة وقال:

«صباح الخير، يا آنسة».

«آه، المعذرة، يا سيد دي فالكونيه! لا تزعج نفسك، ارجوك. ارسلتني لوسيا الى هنا وهي تقول لي انك لن تعارض ان تناولت فطور الصباح معك...».

جلس وطوى جريدته وقال:

«للمرة الاولى، هي على حق».

«ارجوك. تابع ما تفعله كأنني لم آت. لا اريد ان تغيّر عاداتك من اجلي...».

قال وهو يسكب لنفسه فنجاناً آخر من القهوة:

«الاخبار في امكانها الانتظار. واعتقد ان لوسيا ستحضر لك فطور الصباح».

«نعم، شكراً».

لاحظ مارشيللو ان ملامح سوزان متقلصة فسألها:

«هل امضيت نهاراً جيلاً امس؟».

«نعم، شكراً».

«هل اخذك بيترو في نزهة؟».

«نعم. ذهبنا الى القرية».

«ما رأيك بكاسيل فالكونيه؟».

«اعجبتني كثيراً. الكنيسة رائعة».

«آه، نعم. هل لديك معرفة بالهندسة القوطية؟».

«لا، ابداً. اني جاهلة في هذا المجال».

قال مارشيللو مجاملاً:

«في كل حال، اني اجهل تماماً ادارة الفنادق، لا داعي للخجل يا سوزان.

كل انسان له مهنته، اليس كذلك؟».

«انت استاذ في علم الآثار، اليس كذلك؟».

«بيترو اخبرك بذلك؟ واظن انه اخبرك ايضاً عن رأيه في فكرتي في فتح القصر للجمهور، اليس ما اقوله صحيحاً؟».

«اخبرني بصورة غامضة وسطحية».

«اني مستغرب لأن بيترو شديد الدقة».

حاولت سوزان ايجاد موضوع آخر للحديث، لكن بدون جدوى. ولحسن الحظ دخلت لوسيا حاملة صينية الفطور وعليها ابريق القهوة والخبز الصغير الطازج ووعاء مليء بعصير الليمون الطازج. وتذكرت سوزان الوردة التي ارسلها مارشيللو مع الفطور وتساءلت ما اذا كانت الخادمة تنسج حول هذه الحادثة قصصاً وهمية.

ولمّا خرجت من الغرفة، سأل مارشيللو سوزان التي كانت تحتسي عصير الليمون:

«هل لديكما مشاريع لهذا اليوم، انت وبيترو؟».

أجابت سوزان وهي ترفع نظرها:

«أعتقد ان والدته متكلة عليه ليأخذها الى موفاتو صباح اليوم... و... واني... اتساءل ما اذا كنت تسمح لي بأن ازور القصر...».

قطب مارشيللو حاجبيه، فخشيت سوزان ان تكون قد أغضبته، لكنه سرعان ما قال:

«حسب رأيي، في امكان عمتي لويزا ان تنتظر رحيلك لتطلب من بيترو ان يقودها يميناً ويساراً! امس كان القداس، واليوم موفاتو وغداً ماذا؟ ربما القداس من دون شك؟».

«لكن، لا اهمية لذلك، أؤكد لك ذلك. لست مستاءة من الوضع ابداً. اعني اني...».

ترددت لحظة امام نظراته الحادة ثم اضافت:

«انه لطف من بيترو ان يدعوني لقضاء بضعة ايام مع عائلته، لكني... اننا صديقان، لا اكثر وبيترو ليس مرتبطاً بي».

«تريدين ان تقولي انك لا تحبينه؟».

«بلى، احبه، واحترمه واصرّ على صداقته. لكن لست مغرمة به، اذا كان هذا ما تريد معرفته».

قال مارشيللو وهو يسند ظهره الى المقعد:

«شيء غريب...».

قالت وهي تنظر اليه مواجهة في عينيه:

«وما هو هذا الشيء الغريب؟».

«تأكدت ان بيترو يهمه امرك تماماً...».

همست سوزان وهي تهز كتفيها:

«انه يعتقد ذلك...».

«حسناً. لنقفل هذا الموضوع. تريدين رؤية مجموعتي الاثرية والفنية، اليس كذلك؟».

«اذا لم يكن هناك اي مانع».

«لا ابداً. لكن الوقت ليس مناسباً. حرام في هذا الطقس الجميل ان نبقى داخل المنزل. انا وايلينا سنأخذك في نزهة سياحية. هل توافقين؟».

قالت سوزان وهي تنظر الى مارشيللو وابنته في دهشة:

«انت، يا سيدي؟».

«هل تعارضين ذلك؟».

«كلا، لكن...».

«لكن ماذا، يا آنسة؟ انت حرّة في ان ترفضي اذا كان هذا ما تفضلينه!».

هذا ما تفضله! ليس هذا هو السؤال! هل يجب ان تستسلم لجاذبية مارشيللو الخطرة؟ ولما رأت ايلينا تراقبها بعينين قاتمين وفي اهتمام واضح، تذكرت انها في الامس كانت ترغب في ان تأخذها في نزهة، وتساعدها على الكلام والضحك.

تثاءبت وقالت:

«بلى... بلى... اذا كنت حقاً تريد ذلك...».

أكد لها في جفاف:

«يا آنسة، لماذا تترددين؟ هل تخشين ان يرى بيترو في ذلك

اعتراضاً؟».
«آه، لا. ابداً. سأرافقك بكل طيبة خاطر».
«عظيم».
نهض لتوّه وبعدما غمرها بابتسامة صغيرة، تناول عكازيه وتوجه نحو الباب وقال:
«انتهي من تناول فطورك، يا آنسة. سأطلب من السائق ميخيل ان يحضر السيارة الى المدخل».
اسرعت ايلينا في التهام بقية السندويش وافرغت كأسها ونهضت تريد ان تلتحق به، فأمرها والدها في لطف وحزم:
«ستبقين مع الآنسة هنا حتى اعود. وتحدثي معها بالانكليزية».
«نعم، يا ابي».
«هل فهمت جيداً، تكلمي الانكليزية».
«نعم، يا ابي».
جلست الفتاة من جديد واختفى والدها. وقامت سوزان بجهد لأنهاء سندويشها. ماذا يا ترى سيفكر بيترو عندما يكتشف مشاريعها؟ الا يحق له الاحتجاج وهو الذي دعاها الى كاسيل فالكونيه. وماذا يحدث لو اقنعت والدته عن الذهاب الى موفانو؟
وبينما كانت تلتهم طعامها، كان نظرها يشتبك بنظرات الفتاة المحدّقة فيها فحاولت جهدها الابتسام. لكن بيترو يعرف رغبتها في التنزه مع الفتاة. ولم يذهب بعيداً في تفكيره.
سألتها وهي تحرك السكر في فنجان القهوة:
«هل تذهبين الى المدرسة، هنا، في كاسيل فالكونيه، يا ايلينا؟».
قالت الفتاة فجأة:
«هل تحبين ابي يا آنسة؟».
صدمت سوزان وكادت تختنق وهي تبتلع القهوة غير قادرة ان ترد عليها. اخيراً توصلت الى ان تقول:

«اني... طبعاً، احب والدك».
قالت ايلينا في لغة انكليزية رفيعة:
«اما بيترو، فهو لا يحب والدي. وانت صديقته، اليس كذلك؟».
«هذا لا يعني اني اتفق دائماً معه. في كل حال، انت على خطأ تجاه بيترو. اذ يحصل بين الاقارب، احياناً سوء تفاهم او شجار. لكن هذا لا يعني انهم يتبادلون الكره. انت صغيرة كي تفهمي هذه الامور... والآن اجيبي على سؤالي:
«هل تذهبين الى مدرسة القرية؟».
هزت الفتاة رأسها واجابت:
«كلا. اذهب الى المدرسة في ميلانو».
استغربت سوزان الامر وقالت:
«ميلانو؟ اذن تذهبين الى المدرسة الداخلية؟».
«نعم، يا آنسة. عندما تعرّض ابي للحادث الاليم، قالت لي امي انه لم يعد عندها الوقت لتأخذني كل يوم الى المدرسة في موفانو، حيث كنت اذهب. فهي مدرسة خارجية فقط».
لم يكن صعباً على سوزان ان تستنتج معاني هذه الكلمات.
قررت صوفيا ان تضع ابنتها في مدرسة داخلية. وغياب مارشيللو كان حجة رائعة. الا اذا كان ذلك فكرة مارشيللو ليتسنى لزوجته ان تكرس معظم اوقاتها له...
ولما عاد الكونت كانت سوزان تفرغ ما تبقى من فنجانها فسألها وهو على عتبة الباب:
«هل انت مستعدة؟».
كان يرتدي سروالاً ضيقاً من المخمل المضلع. وتذكرت سوزان للحال ما قاله بيترو عن جاذبية ابن خاله. انه على حق. فمارشيللو، رغم عاهته والكدمات في وجهه، جذاب للغاية.
نهضت ايلينا واقتربت من والدها. وسألته سوزان وهي تقترب

ايضاً منه:

«هل استيقظ بيترو من نومه؟».

قال مارشيللو وهو يهز رأسه:

«لا. لم يستيقظ بعد؟ هل انت في حاجة الى اذنه؟».

تألمت سوزان من لهجته الساخرة وقالت بعد جهد في لهجة جدية:

«اني مستعدة، يا سيد دي فالكونيه».

«حسناً. من الافضل الذهاب باكراً. آه، كدت انسى... هل جلبت معك ثياب البحر؟».

دهشت سوزان وقالت:

«ثياب السباحة؟ اعتقد... نعم جئت بها من لندن».

«اذن، اجلبيها معك في نزهتنا. ولا تقلقي من اجل المناشف عندي ما فيه الكفاية داخل السيارة».

ومن دون مناقشة، صعدت سوزان الى غرفتها واخرجت ثياب السباحة البيضاء من احد الادراج، حيث وضعتها لوسيا ثم اخرجت نظارتها وانبوباً من الزيوت الواقية من اشعة الشمس اللاهبة. وضعتها كلها في حقيبة البحر ونزلت الى البهو. كانت اشعة الشمس تطل من النوافذ ومن الباب الخارجي. وحبات الغبار تتمايل في أشعة الشمس التي تعكس الوانها العديدة.

ترددت عندما رأت شبح مارشيللو الطويل واقفاً على عتبة الباب.

قال مشيراً لها بان تتقدمه:

«من هنا، يا آنسة».

وفي ساحة المدخل كانت سيارة مرسيدس بيضاء تلمع تحت الشمس. والرجل العجوز الذي رأته ليلة وصولها كان يلمّع السيارة بقماش جلدي. لا شك انه ميغيل السائق.

أمر مارشيللو في لهجة بدأت سوزان تألفها قائلاً:

«اصعدي، يا آنسة».

فتح لها ميغيل باب السيارة في عجلة. كانت ايلينا جالسة في

المقعد الخلفي متألقة وفرحة على غير عادة، وبدت تشبه والدها.

اقترب مارشيللو على عكازيه، فاسرع ميغيل لمساعدته على الدخول، في اهتمام زائد، فطمأنه مارشيللو قائلاً:

«سأتدبر امري، يا ميغيل. ستسهر عليّ الآنسة هانت».

لم تكن سوزان تنتظر ان يقود مارشيللو السيارة بنفسه. اقلع في هدوء ودخل الى الممر الطويل ثم توقف امام الباب الحديدي الواسع وسأل سوزان:

«ايمكن الاتكال عليك في فتح هذا الباب، يا آنسة؟».

«طبعاً».

خرجت بسرعة من السيارة. وبعدما فتحت الباب تقدمت السيارة ثم اغلقته وصعدت في المقعد الامامي قرب مارشيللو، سألته سوزان في صوت خفيض:

«هل من الحكمة ان تقود السيارة بنفسك؟».

رمقها بنظرة ساخرة ومتعالية وسألها:

«هل انت خائفة؟».

هزت رأسها وقالت:

«لا... كنت... اريد ان اقول...».

قاطعها في لطف مفاجىء:

«اعرف ذلك. لنقل، انني في نظر افراد العائلة، ابدو متهوراً جداً. لكن انت تعرفين اني لست طائشاً، اليس كذلك؟».

«اوه...».

قال وهو ينظر اليها من زاوية عينيه:

«اليس ما اقوله صحيحاً. اذن، استرخي يا آنسة. اؤكد لك انك لست في خطر معي».

اي خطر يقصد؟ فيما يتعلّق بالقيادة تصدقه، لأنها لاحظت انه يغير سرعة السيارة في سهولة وارتياح. لكن في ما يتعلق بالشيء الآخر... فانها ما زالت تطرح السؤال على نفسها...

وبعدما اجتاز القرية، انعطفت السيارة في طريق الوادي. النوافذ المفتوحة تدخل الهواء الملىء برائحة الصنوبر. والوزال متألق كالذهب على الارض. وهنا وهناك، اشجار الكرز والتفاح التي ما زالت مزهرة.

«من قديم الزمان كانت عائلة فالكونيه تملك الوادي كله وكل الوديان حتى الادرياتيك».

«اذن كانوا من كبار الاغنياء».

«وكانوا ذوي نفوذ كبير ايضاً. انهم اقرباء لعائلة ميديشي المشهورة، التي قام افرادها بعدد كبير من الجرائم بتحريض منها».

شعرت سوزان بصدمة وقالت:

«لكن هذا عمل مرعب».

تابع قوله من دون انفعال:

«ان تاريخ بلادنا مليء بهذا النوع من الرعب. كنت اقول دائماً ان حضارتنا هذه ليست سوى طلاء خفيف وضع على غرائزنا الارضية».

«هل تعتقد حقاً ان المسألة مسألة طلاء وحسب؟».

«وانت، الا تعتقدين ذلك؟».

«لم يسبق ان طرحت على نفسي مثل هذا السؤال».

«فكري بالأمر اذن. انت ترين جيداً، ان الرجال لم يكفوا، منذ دهور عديدة، عن ان يقاتل بعضهم البعض الآخر...».

«صحيح... لكن هناك غرائز اخرى خطرة ايضاً».

وافق على ما قاله واضاف:

«آه، نعم. وفتاة جميلة مثلك لا بدّ أنها تعرف ذلك».

احمرّت خجلاً وقالت:

«ألا تخجل من مناكدتي بهذه الطريقة! انا... اين... اين تأخذني؟».

«حسناً، يا آنسة. ارى أنّ هذا الحديث يزعجك... اين

تذهب؟ يجب ان نطرح هذا السؤال على ايلينا. اين نذهب، حسب رأيك، يا ايلينا؟».

قالت الفتاة في ابتهاج وهي تضع يديها الصغيرتين على مسند المقعد الامامي:

«الى الشلال، يا ابي، اليس كذلك؟».

«نعم، يا صغيرتي، الى الشلال. هل سبق أن سبحت تحت الشلال، يا آنسة؟ كلا، اليس كذلك. اذن اليوم ستختبرين ذلك».

وأمام نظرته الساخرة شعرت سوزان بالتململ. وحاولت من دون جدوى ان تتحصّن ضدّ الانفعال الخداع، الماكر، الذي يحتلها خانقاً معدتها، فضلا عن كونها خائفة من اظهار كل هذه الاحاسيس.

وقبل ان يوقف مارشيللو محرك السيارة، سمعت سوزان قصف الشلال العذب والخفيف الذي يدوي من الوادي. العصافير تزقزق، وريح خفيفة منعشة تلوي اوراق الاشجار الخضراء.

وقبل ان يخرج من السيارة قال مارشيللو:

«اذن، هيا بنا الى الخارج».

وفي حركة لينة خرج من السيارة من دون استعمال عكازيه وقال:

«ليس المكان بعيداً من هنا».

ولم يبد على ايلينا الاستغراب من مرونة والدها وقالت:

«أبي، يمكنني ان اسبقكما؟».

«نعم، لكن انتبهي، يا حبيبتي. ولا تتزلقي على الصخور».

«نعم، يا ابي».

وفي ابتسامة متألقة، اختفت الفتاة بين الاشجار وهي تقفز فرحاً. وفي هذا الوقت كان مارشيللو يتجه نحو صندوق السيارة ويفتحه ويخرج منه حقيبة جلدية مليئة بالمناشف.

نظرت اليه سوزان قلقة وقالت:

«هل تعتقد ان ذلك جيد لك؟ اعني. . . .».

قاطعها في قوة وقال:

«لا تقلقي علي. بسبب الحادث لا أشكو الا من تصلب بسيط وقد نصحني الاطباء ببعض التمارين لأليّنه».

اخفضت سوزان رأسها وقالت:

«فهمت الآن».

قال في جفاف:

«اهتمامك بي يؤثر فيّ! لم يعوّدني احد على هذا».

أمسك يدها واضاف:

«اعطني هذه الحقيبة سأحملها عنك. ولنسرع الآن والا سيقلق بال ابلينا علينا».

رفعت سوزان عينيها نحوه وسألته:

«انها تعرف، أليس كذلك؟».

«نعم. هذا سرّ بيننا. والآن نحن الثلاثة نتقاسم هذا السرّ».

قالت وهي تهز كتفيها:

«اني آسفة. لو لم اخرج الى الشرفة، تلك الليلة. . . .».

اكمل في لطف:

«. . . لما فرحت برفقتك. صدقيني اني لست نادماً على ذلك ابداً. . . .».

٥- ابتسامة من كريستال

عندما خرج مارشيللو وسوزان من بين الاشجار، وجدا انفسهما على فسحة خضراء، عند نهاية الشلال. الماء ينبثق من حفرة ضيقة من سفح الصخرة المغطاة بالعشب والخنشار ويتساقط عن علو سبعة أمتار تقريباً. أكّد لها مارشيللو وجود عدد كبير من الانهار الجوفية، تظهر أحياناً الى الخارج، باردة ونقية كحجارة الكريستال. ويقفز الشلال في بركة واسعة عرضها اكثر من عشرة امتار قبل ان يتصل بالنهر الواقع في قعر الوادي.

جلست سوزان على طرف البركة ووضعت قدميها العاريتين في الماء وهتفت وهي تنظر حولها مسحورة:

«يا لهذا الجمال! لم ار مثل هذا المكان من قبل!».

«اني مسرور لأن المكان يعجبك. وكما ترين، في امكاننا ان نسبح في البركة، انها عميقة والماء بارد، لكنْ ليس هناك امواج وبالتالي ليس هناك خطر».

نهضت ايلينا عن العشب وسألت والدها:

«أيمكنني ان اسبح الآن، يا ابي؟».

«ثوب السباحة داخل الحقيبة الجلدية. اذهبي وراء الشجرة البعيدة وارتديه وخذي الآنسة هانت معك».

«نعم، يا ابي».

فتشت ايلينا في الحقيبة الجلدية واخرجت ثوب السباحة الاسود. وكبقية ملابسها، كان هذا الثوب قديماً. وشعرت سوزان ببعض الانزعاج لأن ثوبها سيبدو مثيراً بعض الشيء.

ولاحظ مارشيللو تردّد سوزان في اللحاق بالفتاة، فانحنى ليأخذ حقيبتها عن الارض ومدّها اليها قائلا:

«جلبت معك المايوه، يا آنسة، أليس كذلك».

هزت رأسها ايجاباً، فسألها:

«ألا تريدين ان تسبحي؟».

«وانت؟».

«طبعاً».

وبدأ في الحال يفك أزرار قميصه فنادت ايلينا الفارغة الصبر:

«تعالي، يا آنسة، بسرعة!».

لم تأخذا وقتاً طويلا لتغيير ملابسهما. ولما رأت ايلينا سوزان في ثوبها، قالت في استغراب واعجاب:

«آه، كم يليق بك! لكن عمتي لويزا لن تسمح لي ابداً بارتداء واحد مثله!».

سألتها سوزان:

«وهل عمتك هي التي تختار لك ملابسك؟».

«نعم. ليس لدى امي الوقت لتذهب معي لشراء ملابسي».

هذا يؤكد عدم اهتمام صوفيا بابنتها الوحيدة مما اثار الحزن في قلب سوزان.

ولما خرجت من وراء الشجرة، وجدت مارشيللو جالساً فوق صخرة على طرف البركة، ولما رأت في اعلى ظهره الاسمر الكدمات، شعرت برغبة مفاجئة في ان تضع يدها على كتفه.

ولما اقتربت الفتاتان منه، وقف ليُري ايلينا الضفدعة التي وجدها في مستنقع صغير في قعر الصخرة. اسرعت الفتاة. وبينما كانت تتفحص الحيوان كان مارشيللو ينظر الى سوزان ملياً. كان يتفرّس فيها من رأسها حتى قدميها في وقاحة وبساطة. بماذا يفكر، يا ترى؟ تساءلت سوزان في انزعاج. ومن حسن حظها، ادار عينيه بسرعة ليرد على سؤال طرحته ايلينا عليه.

كانت سوزان تريد ايضاً ان تتفحص الحيوان الصغير، لكنها لا تحب الفضول وراحت تضع قدميها في المياه الباردة، وبعض القطرات الخفيفة تنبثق من الشلال نحو كتفيها العاريتين. فارتعشت بفعل الملامسة المنعشة.

وبعدما تفحصت ايلينا الضفدعة في قعر الصخرة اقتربت من سوزان وقالت:

«المياه باردة جداً، يا آنسة».

ثم غطست في الماء. وبعد ثوان خرجت من الماء وهي تتمتع بقوة وفرح.

وبينما كانت سوزان جامدة وحالمة، فلم تلاحظ ان مارشيللو اقترب منها وقال:

«انها تسبح كالسمكة، ما رأيك؟».

انتفضت لدى سماعها صوته القريب والتفتت وقالت:

«نعم، يبدو انها تحب الماء كثيراً».

سألها بابتسامة ساخرة:

«وانت، هل تحبين الماء؟».

وفي الحال حولت نظرها عنه اذ كانت عاجزة عن رؤية الكدمات. لكنه اجبرها على ان تنظر اليه من جديد اذ قال في لطف:

«لماذا لا تجرؤين على النظر الى الكدمات في وجهي وعنقي وظهري. هل تخافين؟

اني اؤكد لك ان لا شيء يؤثر فيّ».

«صحيح؟».

وحدقت في الكدمات البشعة ثم قررت ان تسأله:

«الا تريد ان تكلمني عن الحادث؟».

رفع ذقنها بيده وقال:

«ليس اليوم».

«مرة اخرى اذن؟».

«اذا كنت تريدين ذلك».

احست بنوع من الغثيان وهي ترى عيني رفيقها تحدقان بقوة في عينيها. وتمنت لو تضيع في اعماق عينيه ولو كان في امكانها ان تضمه الى ذراعيها وتشعر بحرارته القريبة.

لكن، ماذا يحدث لها؟ انها فقدت عقلها كلياً. يجب ان تستعيد وعيها وفي سرعة. افلتت من قبضته راجعة الى الوراء وقالت اشياء تافهة:

«اذا... اذا كانت الماء... باردة جداً... فكيف ايلينا...».

لكنه وضع يده على فمها في عنف وامرها بالسكوت.

ثم قال وهو ينحني فوق شعرها الذهبي السميك:

«لا تتحركي».

ايلينا التي كانت منهمكة في السباحة، لا يمكنها ان تلاحظ شيئاً غير طبيعي، فهمس وهو يجذبها اليه ويقول:

«الا تلاحظين اني اريدك».

اجتاحتها قشعريرة لم تقدر ان تكبتها وقالت:

«انت مجنون!».

فجأة ابعدها عنه في لطف بل في حزم ومن دون كلمة توجه نحو البركة وغطس نحو ابنته التي هللت له.

سمعت سوزان صرخات الفرح من الفتاة ووالدها، التي كانت تطغى على صوت هدير الشلال. ماذا جرى له؟ كيف يفكر فيها؟ لا شك انه يعتبرها فريسة سهلة المنال، لمجرد النظر الى الطريقة التي ارتمت فيها عليها. لكن، لماذا لا تستطيع السيطرة على التوتر الذي يحتلها كلما رأته؟

خرج مارشيللو من الماء وقال:

«اتنضمين الينا؟».

«لا اعرف. لا اريد ازعاجكما».

«ازعاجنا؟ يا الهي! انت لا تزعجينا ابداً يا سوزان... لن اناديك بالآنسة بعد الآن. هل توافقين على ذلك؟».

«لا ابداً».

«ماذا جرى؟ هل تلومينني لما حدث بيننا الآن؟».

«اني ألوم نفسي».

«لماذا؟».

«لماذا؟ لأني لست بالفتاة... لم يسبق ان... اوه...».

توقفت منزعجة وحانقة وقالت:

«انت تفهم ما أريد قوله».

«اني ارى انك انسانة حمقاء. تضخمين الامور اكثر من اللزوم. هل فعلنا شيئاً خاطئاً؟ انه من الطبيعي ان انجذب لسحر فتاة جميلة مثلك. لكن، اذا كنت ازعجتك، ارجو ان تسامحيني. لم اكن انوي ذلك ابداً».

«لو لم تكن ايلينا هنا...».

«لكنها هنا! اذن، لا داعي للكلام في الموضوع بعد الآن. كما اني

لم افقد برودة اعصابي، اليس كذلك؟».

«انا، فقدت وعيي».

«ولم يحدث لك ذلك من قبل؟».

«ابداً».

«ولا حتى مع بيترو؟».

«بيترو؟ لقد سبق ان قلت لك، لا شيء من هذا النوع بيننا».

«انت لغز يحيرني...».

كان ينظر في حيرة الى وجهها المعذب وقال:

«ايعني ذلك انك لم تعرفي الحب من قبل؟».

«بلى. لكن يجب الا تعتبرني امرأة سهلة المنال حتى ولو انجذبت لسحرك».

«لكن، يا سوزان، لماذا تحكمين عليّ بهذه القسوة؟ الاّ تعتقدين انك مخطئة في حقي؟».

تنفست الصعداء وقالت:

«ربما من الأفضل عدم متابعة هذا الحديث التافه».

«لماذا؟ هل تعتقدين اني لا اجذب النساء؟».

«ما تقوله غير صحيح وتعرف ذلك تماماً. انت رجل جذاب!».

«انت امرأة صادقة».

«نعم، صحيح».

«شكراً. والآن ما رأيك لو نلتحق بايلينا؟».

توقفت سوزان عن المناقشة وغطست في الماء البارد.

وشعرت بنشاط وحيوية بعد الاسترخاء في المياه العذبة. لقد نسيت غضبها وخجلها وترددها وقلقها. من الافضل ان تعيش اللحظة الحاضرة والاّ تفكر في المستقبل القريب.

خرج مارشيللو من الماء وتوجه نحو السيارة واخرج من الصندوق

كرة كبيرة، دفعها الى المياه، ثم غطس من جديد، وراح الجميع يلعبون في الكرة بمرح كبير. وشعرت سوزان مرّات عديدة بقدمي مارشيللو تلمسان قدميها عندما يندفعان معاً لالتقاط الكرة. وفي احدى المرات، في حمى اللعب، تعلقت بكتفه المصابة.

ولما شعروا بالتعب، خرجوا من الماء. وتمدّد مارشيللو في كسل على العشب، وايلينا من كثرة الانفعال ارتمت في احضانه لتلهو معه وتضحك.

قررت سوزان تجنب نظرات مارشيللو، فجلست على حدة، بعيدة عنهما وراحت تحدّق في الماء حالمة، موجهة ظهرها للشمس الحارة.

فجأة، ابتعدت ايلينا لتقطف الازهار، فنهض مارشيللو وأخرج منشفة من حقيبة الجلد واقترب بهدوء من سوزان وهو يجفف صدره وكتفه، ثم قال:

«لا تجلسي هكذا جامدة، والاّ ضربتك الشمس».

هزت كتفيها قائلة:

«آه، لا، ليس هناك خطر!».

اقترب منها قائلاً:

«اتريدين ان اجفف ظهرك؟».

«كلا. لست في حاجة الى احد».

«سأحضر لك منشفة».

نهضت لتوها وقالت:

«سأحضرها بنفسي».

وأخرجت سوزان منشفة حمراء، لفتها على جسمها، ثم سرحت شعرها، بينما كان مارشيللو ممدداً على بطنه، وذقنه على ذراعيه، ينظر اليها في حيرة وارتباك.

فجأة سألها:

«اخبريني، كيف التقيت بيترو».

«لماذا تريد معرفة ذلك؟».

«لقد تعرف الى فتيات غيرك من قبل، الا ان اياً منهن لم تكن تشبهك».

«تريد ان تقول . . . انه دعا فتيات غيري الى قصر فالكونيه؟».

«نعم».

«كنت اعتقد ان والدته . . . يعني . . .».

«نعم، عمتي لويزا تستقبل ببرود . . .».

ولتخفي انزعاجها، ركعت على المنشفة واخرجت من حقيبتها الانبوب الذي يحتوي على مرهم مانع للشمس ووضعت منه على ذراعيها وراحت تدلكه مطولاً. ومع ذلك فليس سهلاً ان تحافظ على برودة اعصابها امام نظرات رفيقها الملحة.

«لم تجيبي على سؤالي بعد. كيف التقيت بيترو؟».

«التقيته عند بائع التحف القديمة حيث كان يحاول من دون جدوى ان يفهم البائع بلغته الانكليزية الضعيفة ما يريد. وبما اني اتكلم الايطالية، عرضت عليه المساعدة».

«آه، فهمت الآن. لكن، لا افهم، كيف اقمت علاقات مع رجل اجنبي وانت تدّعين انك فتاة محافظة!».

قطبت حاجبيها في بادىء الامر، ثم فهمت انه يحاول اغاظتها، فابتسمت. لكنه كان ينظر اليها في قوة متوترة. فاستسلمت لجاذبية عينيه الساحرتين وراح قلبها ينبض بسرعة، فازاحت نظرها عنه للحال.

ولما شعرت بذراعيه تلمسها، انتفضت مذعورة. فقد ركع قربها من دون ان ينطق بكلمة. واخذ من يدها المرهم ووضع منه على يده ثم راح يدلك ظهرها في نعومة ومداعبة بطيئة.

ولما عادت ايلينا، ويداها محملتان بالمرغريت والورد وأنواع عديدة من النباتات الخضراء، ابتعد مارشيللو عن سوزان. وتمدّد على العشب واضعاً رأسه بين يديه.

فقالت سوزان:

«أريني ما قطفت».

فرحت ايلينا بهذا العرض وافرغت ما في يديها على الارض قرب سوزان، التي اقترحت عليها قائلة:

«يجب ان تحضريها الى المنزل. ما رأيك لو تبدأين بتجميعها في كتاب وتنظمين هواية جديدة؟».

«لا اعرف اذا كانت العمة لويزا تسمح لي بذلك».

ومن دون تفكير، انحنت سوزان ووضعت يدها على كتف مارشيللو الذي انتفض ثم انتصب مصغياً لسوزان تلفظ اسمه الصغير للمرّة الاولى:

«اسمع، يا مارشيللو. هل في امكان ايلينا ان تأخذ هذه الزهور والاعشاب معها الى المنزل؟ انها . . . تخشى ان تمنعها عمتك من ذلك».

«ما رأيك، يا سوزان؟».

«لا ارى ما يمنع ذلك».

«اذن، اسمح لك يا حبيبتي ان تحمليها معك الى المنزل. واذا لم تفرح عمتي بالامر، سأتفاهم معها».

«آه، شكراً يا ابي!».

بعد نصف ساعة، غادر الجميع الشلال. ارتدت سوزان سروالها فوق المايوه وجلست قرب مارشيللو في السيارة وراحت تفكر بالتغيير الخطر الذي طرأ على علاقتهما. هل يهتم بها كما هي تفعل؟ كلا، من دون شك. يبدو وهو في طريق العودة اقل حماسة مما كان عليه صباح اليوم. وهو الآن يركز على القيادة، صامتاً وحالماً.

توقفوا امام مقهى في قرية صغيرة، ليحتسوا القهوة. كان الوقت ظهراً والساحة مزدحمة بالناس. جلسوا امام طاولة على الرصيف. عدد كبير من الناس حيوا مارشيللو ورمقوا رفيقته بنظرات متسائلة لكنه لم يقدمها اليهم.

ولما وصلوا الى القصر كانت الساعة الواحدة.

وكان ميغيل ينتظرهم ليفتح لهم الباب. اوقف مارشيللو السيارة في الساحة. وبينما كانت ايلينا تقدم العكازتين لوالدها، اطلقت زفرة قائلة:

«آه، يا ابي...».

لكنه نظر اليها في حدة، فشعرت بالخجل وخرجت وراءه من دون ان تتابع كلامها. اغلق الباب واتكأ على عكازتيه، فقالت سوزان:

«اني... اني اشكرك. لقد... لقد امضيت صباحاً رائعاً».

تقدم مارشيللو وهي تتبعه. وايلينا في المقدمة.

فقال في لهجة غريبة:

«اني مسرور لذلك».

فنظرت اليه، في قلق وسألته في صوت خفيض:

«ما بك؟ هل تشعر بألم؟».

«لا، يا سوزان، لست متألماً جسدياً. واني اطلب ان تغفري لي ما صدر مني».

«لكن، لم...».

«تعرفين تماماً اني ازعجتك».

واجتازا بقية الطريق في صمت ثقيل.

وفي البهو، التقيا بييترو الذي بدا في مزاج سيء.

فقال بالايطالية وفي لهجة غاضبة:

«اين كنت؟».

لكنه عندما رأى مارشيللو وراء سوزان، اضاف:

«آه، هكذا اذن، يا مارشيللو...».

«ارجوك، يا بيترو...».

القت سوزان نظرة خاطفة في اتجاه ايلينا التي كانت تنظر في دهشة

الى بيترو وقالت:

«لا داعي للغضب. كنت... كنا... ذهبنا لزيارة الشلال...».

قاطعها بيترو غاضباً:

«عظيم. وبالتالي لم يخطر في بالك اعلامي بالامر!».

قال مارشيللو مقاطعاً:

«كفى، يا بيترو. يبدو لي، ان الآنسة هانت ليست مضطرة لاطلاعك على كل ما تريد فعله! ثم كان من المفروض ان تصطحب والدتك الى موفاتو...».

«صحيح. اوصلت والدتي الى موفاتو وعدت بعد ساعة. هل اعتقدت اني سأبقى هناك واثرثر مثل امرأة عجوز؟».

اجابه مارشيللو في لهجة ساخرة:

«نعم، كنت اعتقد ذلك!».

غضب بيترو وتقدم خطوة. فوضعت سوزان يدها على ذراع بيترو وقالت متوسلة:

«ارجوك. اني آسفة انك اضعت وقتك في البحث عني او في انتظاري. لكني كنت اعتقد انك ستكون غائباً فترة قبل الظهر كلها. الم تقل لك لوسيا شيئاً؟».

«لوسيا! الا تعرفين أنّ الموظفين هنا لا يعرفون الاّ صاحب المكان؟ لقد افهم مارشيللو موظفيه الاّ يوحوا لأحد بمكان وجوده. واني اتساءل لماذا هذا التصرف الوقح؟».

ايلينا التي كانت تنظر الى الجميع، كل واحد بدوره عبث وبدأت تجهش في البكاء، وتقول بعدما اوقعت جزءاً من الزهور والاعشاب التي كانت تحملها:

«انت رجل شرير! لقد لهوت كما يجب، والآن انت تفسد كل شيء. انت غيور لأن والدي يحب سوزان، أليس كذلك؟».

سكتت لحظة ثم تابعت لامبالية:

«والدي لا يقول لك شيئاً عندما تأخذ والدتي معك. انت تعرف جيداً اني رأيتك تقبل امي. وامرتني الا اخبر احداً بالامر، لتفادي المشاكل! كنت اود لو ابي قبّل سوزان كي ارى ردة فعلك!».

٦- الحب ينتظرك!

لم يظهر مارشيللو على الغداء. والسيدة فيتاليه كانت في موفانو. بيترو، سوزان وايلينا كانوا وحدهم أمام الطاولة. أين صوفيا يا ترى؟ ولم يلمّح احد الى غيابها، لكن سوزان بدأت تدرك أن الكونتيسة الجميلة تعيش وحيدة.

الجو لم يكن مسترخيا كما يجب. بعد الحادثة الصغيرة، هربت ايلينا الى غرفتها وسوزان التحقت هي ايضا بغرفتها، لتغير ملابسها قبل الغداء، لكن في الواقع كانت في حاجة لأن تكون وحدها لتضع النقاط على الحروف لما يدور في رأسها.

لكن هذه الاستراحة الصغيرة لم تجد نفعاً. فما زالت سوزان مضطربة داخلياً، فريسة أحاسيس متناقضة، لا تعرف تماماً ما هي

حقيقة عواطفها تجاه مارشيللو. وكلما تقدم الوقت كان الوضع يتدهور داخل القصر. وبدا واضحاً ان العلاقات بين أفراد العائلة معقدة أكثر مما بدت عليه للوهلة الاولى. وتساءلت سوزان ما اذا كان تعلق بيترو بصوفيا أساس الاختلاف بين فالكونيه وفيتاليه. وكانت تميل الى وضع اللوم على صوفيا مع ان بيترو يلام هو ايضا. لكن حدسها كان يقول لها ان مارشيللو ليس لديه شيء ليلوم نفسه، بالرغم مما حدث هذا الصباح.

ومن جانبها، كانت ايلينا اكثر هدوءاً من العادة، وسوزان لم تتوصل برغم جهودها لكي تفرح الفتاة، وتجعل اساريرها تنبسط. اما بيترو فكان صامتاً وكئيباً. وللمرة الاولى كانت سوزان تتمنى وجود السيدة فيتاليه على المائدة.

وبعدما احضرت لوسيا القهوة اختفت ايلينا بعد اعطاء حجة غامضة. وبقي بيترو وسوزان وحدهما. وأصبح الجو لا يطاق.

سكبت سوزان القهوة لبيترو، وأضافت السكر وقدمته اليه مع ابتسامة صغيرة، فقال:

«شكراً».

على الأقل، كان مهذباً. ثم قالت في صوت خفيض:

«حسب رأيي، من الأفضل للجميع ان أغادر ايطاليا وأعود الى لندن».

انتفض بيترو وقال:

«ماذا تقولين؟».

«فهمت ما أقوله جيداً، يا بيترو. هل تتفضل بالاتصال هاتفياً بالمطار لمعرفة اذا كان هناك مكان في طائرة المساء او طائرة الصباح».

صرخ بيترو قائلاً:

«آه، لا. لا يمكنك ان تذهبي هكذا!».

«ولمَ لا؟ الظاهر ان وجودي هنا لم يسبب الا المشاكل».

«ماذا تعنين؟».

كان منظره غريباً. وتساءلت سوزان ما اذا كان يشك في الحقيقة. لكنه عاد يقول:

«آه، تفكرين بحادثة اليوم مع مارشيللو؟ ارجوك نسيان ما حدث. في كل حال، لم يسبق ان اتفقت مع ابن خالي. اما في ما يتعلق بما قالته ايلينا حول صوفيا فاني لا انكر ذلك. أنا... وهي... نحن متعلقان جداً ببعضنا وقد شاهدتنا ايلينا نتبادل العناق. هذا صحيح، اني اعترف بذلك، لكن...».

«آه، اسمع، يا بيترو! لست مضطراً الى ان تبرر مواقفك تجاهي. كل هذا لا دخل لي فيه!».

«بلى، يا سوزان...».

«اخيراً، اعتقد انه سبق ان وضعت لك النقاط على الحروف. وأنت تعرف تماماً ان ما بيننا هي علاقة صداقة فحسب. والآن، أرجوك أن تتوقف عن التصرف كأن هناك شيئاً آخر بيننا».

«لكن، بلى! كلما تعرفت اليك أكثر، شعرت بالسعادة لأنني دعوتك للحضور الى هذا القصر. وأمي بدأت تستلطفك. ولا افهم كيف ان حادثاً بسيطاً يحملك على الهرب».

«أي حادث يا بيترو؟ أنت تهذي كلياً! لقد رددت مراراً ان لا شيء بيننا. واذا كنت، من جهتك، تشعر تجاهي بعاطفة أكبر من الصداقة، فهذا سبب اضافي لرحيلي».

«سوزان، سامحيني لما حدث صباح اليوم. كنت تافهاً بشكل كريه، اني اعترف بذلك. لكن ضعي نفسك مكاني... كنت غاضباً لأنك ذهبت للتنزه مع مارشيللو. انني اعرفه جيداً. لا شك انه اخبرك انباء سيئة عني».

«أنت مخطىء، يا بيترو».

«آه، انه ذكي ولن يفضح لك الأمور بشكل واضح. لا شك انه استعمل وسائل غامضة...».

«كفى، يا بيترو. انك تدور في حلقة مفرغة. دعني اذهب الآن».

ولن ادعك ترحلين من هنا. جئت لقضاء أربعة ايام ولن تعودي قبل ان تنتهي عطلتك. ماذا ستقول والدتي؟ سيساورها الشك و....».

لم يكمل جملته، لكن سوزان أدركت ما يريد قوله. لن تقبل السيدة فيتاليه ان يكون بين صوفيا وبيترو علاقة ما. لكن مغادرة الفتاة بهذه العجلة ستجعل الشكوك تدخل قلب المرأة العجوز وهذا ما لا يريد بيترو ان يحصل.

قالت سوزان وهي تحتسي فنجان القهوة:

«في كل حال، أظن انه ليس في امكانك ان تمنعني من الذهاب».

«اني متأكد من انك صدقت ما قالته ايلينا، أليس كذلك؟ وتتصورين اني وصوفيا على....».

قالت وهي تقف فجأة:

«اني أردد لك، ان كل هذا لا دخل لي فيه. وأخشى الا يسهل وجودي هنا الأمور».

«باسم الصداقة التي تكنينها لي، يا سوزان، اطلب منك ان تبقي هنا، الى ان تنتهي عطلتك؟».

كان ينظر اليها في توسل وأضاف:

«كوني لطيفة! أرجوك».

«حسناً، سأبقى حتى يوم الثلاثاء كما كان مخططاً».

تهلل وجه بيترو وقال:

«شكراً. اقسم لك انك لن تندمي على ذلك».

بعد الظهر، رافقت سوزان بيترو الذي ذهب بسيارته لاعادة والدته الى القصر. هذه النزهة الصغيرة برفقة صديق عاد لطيفاً كما عرفته، كانت بالنسبة اليها مريحة وضرورية.

في المساء كان هناك ضيف على العشاء. الضيف كان شاباً جذاباً، وغنياً. وعندما دخلت سوزان الى الصالون رأت صوفيا متأبطة ذراع الضيف في صورة حميمة. فألقت سوزان نظرة خاطفة وسريعة الى

مارشيللو الذي كان يستند الى حائط المدفأة وعلى وجهه امارات اللامبالاة. وهو يرتدي بدلة السموكينغ السوداء وكان يبدو انتهازياً اكثر من أي وقت، وشخصيته القوية تطغى على شخصية الضيف، كارلو بوتيغا.

ولم تكن سوزان تعرف ان القصر سيستقبل ضيفاً تلك الليلة، وقد ارتدت فستاناً انيقاً وزينت وجهها، اذ كانت ترغب ان تبدو جميلة لأن ذلك يرفع من معنوياتها. فثوبها الحريري الأسود كان يظهر اناقتها وجمالها.

ولم يخف كارلو بوتيغا اعجابه بسوزان، لكن ذلك ازعج صوفيا. كما ان بيترو نفسه أعجب بجمال سوزان الطبيعي.

اما مارشيللو فاكتفى باشارة من رأسه لدى دخولها. ما رأيه بالأمر؟ هل يراها جميلة؟ هل ندم على تصرفه هذا الصباح؟ كيف يمكنها ان تعرف ذلك؟

تضايقت من نظرات عينيه الباردة، فتركت كارلو بوتيغا يغازلها.

ماذا حدث تلك الليلة؟ سوزان عاجزة عن الرد على هذا السؤال. لكنها تذكرت فقط الجهد الذي قامت به السيدة فيتاليه لتلهي صوفيا وبيترو، بينما كان كارلو يثرثر معها بفرح. ما هو هدف المرأة العجوز وهي تحاول ابعاد صوفيا عن كارلو الجذاب وعن ابنها بيترو؟ هل من اجل المحافظة على زواج مارشيللو؟ ولماذا ازعجت هذه الفكرة سوزان؟

بعد العشاء عاد الجميع الى الصالون الصغير حيث الأبواب الزجاجية مفتوحة يدخل منها الهواء المنعش. حاولت صوفيا ان تجر كارلو الى الحديقة، لكن الرجل الايطالي أظهر اهتمامه بسوزان واستمر في الحديث معها متجاهلاً صوفيا.

كان يقول للفتاة المنزعجة قليلاً:

«اني اذهب الى لندن، غالباً. فالمؤسسة التي أديرها تصدّر الرخام، وحالياً الطلب قوي على الرخام في انكلترا. لا يمكنك ان

تتصوري عدد الناس الذين يطلبون بناء احواض السباحة و. . . . ».
«آه، صحيح؟».
تابع كارلو متجاهلا غضب صوفيا:
«طبعاً، لدي أوقات أكون فيها حراً، وبما انني احب المسرح أحاول دائماً ان احضر مسرحية جميلة كلما مررت بلندن».
«اني افهمك جيداً».
«اين تعملين بالضبط يا آنسة هانت؟».
كادت ترد عليه، عندما سمعت صوت عكازي مارشيللو يقترب منها. كان يبدو عليه انه لا يوافق على هذه الصداقة التي تبدو ظاهرة بينهما. فقال:
«عمتي تريد ان تريك قطعة سجاد قديمة، يا آنسة هانت».
ثم التفت الى صوفيا وقال:
«كنت اعتقد انك تحبين ان تأخذي ضيفنا الى الحديقة لتريه آخر الانتاج الزراعي؟».
«هذا صحيح، لكن بما أن الآنسة هانت كانت تستأثر به. . . ».
ابتعدت سوزان بعد ابتسامة سريعة من كارلو. كانت السيدة فيتاليه واضعة على ركبتيها بساطاً من السجاد القديم به رسوم لطاووس. وكان بيترو واقفاً قربها يتأمل البساط في اهتمام زائد.
قال وهو يؤكد لسوزان روعة هذا الرسم:
«انظري الى هذه التحفة».
وهنا أحاطها بذراعيه فقالت السيدة فيتاليه وهي تمر باصبعها في حذر على الألوان الباهتة:
«هذا النوع من السجاد المحاك كان شهيراً في القرن الخامس عشر، كما ترين بدأت الألوان تبهت. واذا لم نهتم بالأمر بسرعة، فسنرى حفرة عن قريب، ويا للكارثة!».
قال بيترو في فخر واعتزاز:
«امي تجيد اصلاح السجاد. انظري، لقد بدأت بالعمل هنا.

لكن القطب غير مرئية».
«انني أقدر لك تعبك يا سيدة فيتاليه. أنا لا استطيع أن أفعل ذلك».
قال مارشيللو الذي ظهر وراءهما:
«لا يمكن معرفة الشيء قبل محاولته لكنك على حق، ان عمتي ماهرة في هذا المجال. واني أقدر لك أشياء أخرى حصلت في الماضي. . . يا عمتي لويزا».
أجاب بيترو في سخرية:
«نعم كانت تحافظ على مجموعاتك».
لم يرد مارشيللو عليه. فسألت العمة في فضول:
«اين صوفيا وهذا الرجل الدون جوان؟».
«انها في مشتل الحديقة».
ثم نظر الى سوزان وقال:
«عليك رؤية أزهاري وورودي قبل رحيلك، يا آنسة. انها من دون شك رائعة».
سألته السيدة فيتاليه:
«لم أعد اتذكر اسم آخر وردة».
«كاترين دي ميدتشي. سأريك اياها يا آنسة. انها بيضاء نقية مثل الملكة».
احمرت سوزان عندما تذكرت الزهرة الرائعة التي وجدتها على الصينية صباح أول يوم لوصولها.
وفي هذا الوقت كانت السيدة فيتاليه متوترة، غير مهتمة بزراعة الورد قدر ما هي منزعجة من اختفاء صوفيا.
ثم قالت:
«اذا كنت تعتقد ان صوفيا تهتم بالزراعة، فهذا يعني انك رجل احمق!».
اكتفى مارشيللو بهز كتفيه وقال:

«أفضل ان أكون أحمق على أن أكون لصاً، يا عمتي لويزا».
وابتعد نحو الباب في خطوات مترددة.

عادت صوفيا مع رفيقها بعد غياب طويل. كانت سوزان جالسة قرب السيدة فيتاليه تصغي اليها وهي تحدثها عن مرحلة ما قبل الحرب عندما كانت ما تزال فتاة غير متزوجة، وتسكن القصر مع أمها ووالدها وأخيها. وتكلمت المرأة العجوز عن زواجها وفهمت سوزان ان والديها لم يوافقا على هذا الزواج.

لم تكن سوزان تصغي في شوق الى ذكريات المرأة العجوز، لكنها كانت تفضل ذلك على النزهة في الحديقة التي اقترحها بيترو في اصرار. لقد وافقت على البقاء حتى يوم الثلاثاء لكنها لا تريد ان تنجرف مع بيترو في مغامرة لا تعرف نهايتها.

بدت صوفيا متضايقة لأنها لم تجد مارشيللو في الصالون... وجهها الأحمر، وشعرها المشعث يفضحان ما حدث داخل المشتل.

انتظرت سوزان فترة قصيرة قبل ان تطلب السماح لها بالانسحاب. بيترو وكارلو كانا متأسفين لذلك. لكن سوزان كانت ترغب أن تبقى وحدها وخرجت في سرعة من الصالون.

لكن ما ان وصلت آخر درجات السلم حتى شعرت بوجود أحد وراءها. التفتت ووجدت في الظل، شبح مارشيللو. وعندما عرف انها اكتشفته، تقدم خطوة وقال في لطف:

«أنت صاعدة الى غرفتك، يا سوزان؟».

«نعم. ان الساعة تزيد عن الحادية عشرة، يا سيد دي فالكونيه».

من المستحيل ان تناديه باسمه الصغير.

«بالنسبة الي هذا مبكر!».

«آه، صحيح؟».

«فتيات اليوم يعشن حياة مفككة، بلا رباط».

«آه، صحيح».

لم تعرف ماذا يقصد بذلك. اقترب منها وأضاف:

«نعم، صحيح. يردن تذوق كل الملذات...».

«ماذا تعني؟ اني لا...».

قاطعها بقوة:

«وكارلو بوتيغا، فارس احلام زوجتي، هل تجدينه جذاباً؟».

«اني نعم، انه جذاب. هذه حقيقة ظاهرة... اني... اني آسفة...».

«لست غبياً، يا سوزان.

سمعت ان هذا الرجل الايطالي الجذاب أعطاك موعداً واني انصحك بعدم القبول».

«ماذا قلت؟».

«لا تحاولي قول العكس. ان سمعي لا يضاهى».

كلا. هذا غير معقول. لماذا يتدخل في شؤوني؟ تقلصت سوزان في غضب وقالت في لهجة رافعة ذقنها:

«لا شك انك تملك اذناً قوية اكثر مني. اعترف اني لم أسمع السيد بوتيغا يطلب مني موعداً. وفي امكاني ان أعود الى الصالون لأتأكد من ذلك...».

«هل تنكرين انه دعاك الى حضور مسرحية معه؟».

«انني ارفض ان أرد على سؤال وقح كهذا».

«ما دمت تسكنين قصري، فانني مسؤول عنك، يا آنسة».

حدقت فيه سوزان بضعة ثوان من دون ان تتلفظ بشيء، ثم عادت تتسلق السلالم. فسألها في صوت غير مبال:

«تريدين رؤية مجموعتي الفنية، أليس كذلك؟».

التفتت اليه في سرعة وكانت ترغب في أن تقول له ان يدعها وشأنها، فقال:

«اذا وافيتني غداً صباحاً الى غرفة الطعام ففي امكاني ان آخذك في جولة داخل القصر، بعد تناول الفطور».

«شكراً، لكن عليّ ان اذهب لحضور القداس مع بيترو

ووالدته... وأنت ألا تحضر القداس يوم [illegible] الفصح؟».

«اني لا أمارس الشعائر الدينية، منذ زمن بعيد، عندما اكتشفت...».

تردد قليلا فسألته سوزان في اصرار:

«عندما اكتشفت ماذا؟».

«أنا مع القول السائد، لدينا كفاية لنحب بعضنا».

«هل الحادث هو الذي...».

«فتح لي عقلي. نعم».

«لا اعتقد ان المرارة في امكانها ان تحل لك مشاكلك».

«المرارة؟ من أين لك هذا يا سوزان؟ لقد أضعت أوهامي واني مليء بالندم، لكني لست مراً وبالعكس أرى ان الحادث الذي تعرضت له كان مفيداً لي. تبدين مندهشة؟».

لم تكن سوزان قادرة على فهم كلماته.

«لو... سمحت يا سيد، ان رأسي يؤلمني وأريد الذهاب الى فراشي».

«سامحيني لاحتجازك مطولا. تصبحين على خير».

اختفى من البهو بينما كانت سوزان تتسلق السلالم، وهي نادمة لما قالته في ردة فعل دفاعية ضد الانجذاب الذي يحمله اليها. كم تريد أن ترافقه وتعزّيه وتقول له ان النساء لسن كلهن متشابهات. لكن هل هو في حاجة للعزاء؟ أخيراً... شكراً لله، بعد يومين ترحل من هنا نهائيا لتعود الى لندن مسقط رأسها.

٧- زهور برية

في اليوم التالي لم تر سوزان مارشيللو طيلة النهار. في فترة قبل الظهر ذهبت الى كنيسة القرية الصغيرة برفقة السيدة فيتاليه وبيترو وايلينا. وهناك كانت تفكر فيه، نادمة لرفضها عرضه زيارة القصر.

وبعد الغداء اقترح بيترو اخذها الى شاطىء البحر. لكن الحرّ كان قوياً ولم تكن ترغب في ركوب السيارة لقطع مسافة طويلة، ففضلت ان تأخذ حمّام شمس على شرفتها بينما كان الآخرون يأخذون القيلولة.

وقبل المساء بقليل نزلت الى الساحة ثم الى الحديقة للتنزه والتقت صدفة بايلينا التي لم تتهرّب منها للمرّة الاولى.

سألتها سوزان:

«أين الازهار والاعشاب التي قطفتها البارحة؟ هل وجدت لها الاسماء المناسبة؟».

قالت الفتاة وهي تهز رأسها:

«كلا. وضعتها في خزانة غرفتي لأني اخاف ان تغضب عمتي اذا رأتها».

«لكن والدك سمح لك باحضارها الى المنزل. ولن تقول لويزا شيئاً».

«هل تصدقين ذلك، يا آنسة. ربما غيّر والدي رأيه».

«ولماذا؟».

«لا اعرف. اليوم لم يكن سعيداً ولم يكلمني ابداً».

شعرت سوزان بالحزن وحاولت ان تطمئن الفتاة.

«اذا اردت، في امكاني مساعدتك».

«انت، يا آنسة؟».

«نعم، انا، يا حبيبتي. هل لديك كتباً مصورة نستعين بها لايجاد اسم لكل من الازهار والاعشاب؟ اعني هل لدى والدك موسوعة؟».

«نعم في مكتبه. اتريدين مني احضارها».

صرخت سوزان وهي تتمسك بالفتاة:

«لا. لا. لا تزعجيه».

«لكنه ليس في مكتبه».

«آه؟».

«كلا. انه يعمل في الصالون الكبير».

«الصالون الكبير؟».

«نعم. اما سبق لك ان رأيته؟».

«كلا».

«يجب ان تطلبي من والدي ان يريك اياه. وسيسر لذلك. انه يحبك، اتعرفين ذلك. وانا سعيدة لأنك تحبينه انت ايضاً».

اضطربت سوزان لهذا الكلام وقالت:

«اذن، يا ايلينا، اين الموسوعة؟...».

لكن الفتاة اضافت:

«قبل الحادث، لم يكن والدي يجلس وحده ساعات طويلة كما يفعل الآن. ولم يكن يبدو عليه الحزن او الغضب. وكنا نلهو معاً ونفرح كثيراً».

«وكل هذا لم يعد وارداً الآن؟».

«ليس دائماً. فضلاً عن انه مشغول جداً في الوقت الحاضر...».

«وما رأيك لو نركز افكارنا الآن على الازهار والاعشاب؟ قولي اين اجد الموسوعة فأذهب لأحضارها بينما تجلبين الازهار. امامنا متسع من الوقت قبل موعد العشاء».

«حسناً، يا آنسة. لكن ماذا لو ان العمة لويزا...».

«لا تخافي، سأهتم بالامر وأرجوك، لا تناديني آنسة... ناديني باسمي، سوزان».

ابتسمت الفتاة وقالت:

«نعم. كما تريدين... يا سوزان».

شعرت بارتباك وحيرة قبل ان تدخل مكتب مارشيللو. لكن الباب لم يكن مقفلاً ولهذا لا يمكن اتهامها بالتطفل. اكتشفت سوزان نسخة قديمة لموسوعة صغيرة عنوانها: «الحديقة الصغيرة الكاملة». وفي داخلها صور عديدة تساعد على تحديد قسم كبير من الازهار والاعشاب التي احضرتها ايلينا. وبعدما القت نظرة اخيرة على هذه الغرفة الرائعة، عادت لتلتحق بالفتاة في الرواق.

وهناك امضتا معاً حوالى الساعة. كان عليهما بادىء الامر فرز الازهار الحقيقية عن العشب السيء. وبينما كانتا تعملان بفرح تحدثتا عن كل شيء. ولم تكن الفتاة تكف عن طرح الاسئلة على سوزان حول مهنتها وحياتها. كانت متعطشة لأن تعرف ما يدور في العالم الذي يحيط بها.

وفي الحديث اخبرت سوزان ايلينا عن طلاق والديها.

فسألتها ايلينا مقطبة الحاجبين:

«الم تحزني عندما تزوجت والدتك مرّة ثانية؟».

«كلا. والداي لم يتفقا. لذا ألاّ يحق لهما البحث عن السعادة في مكان آخر؟».

«لكن... لكن العمة لويزا تقول ان الطلاق لا وجود له. عندما يتزوج شخصان فهذا يعني ان الزواج يدوم مدى الحياة».

قالت سوزان وهي تنظر الى الفتاة بحزن:

«ليس الامر سهلاً دائماً».

«وتقول العمة لويزا انه اذا شعر الانسان بالتعاسة، فيجب ان يطلب مساعدة الله».

ولم ترد سوزان، بل تناولت عن الطاولة وردة صغيرة وراحت تقارنها باحدى الصور في الموسوعة. اما ايلينا فقالت بدون ان تنظر الى الكتاب:

«هل تعتقدين، انت، ان الله يريد تعاسة الناس؟».

«طبعاً لا. لماذا تقولين هذا الكلام؟».

«لأني كنت افكر... ابي وامي ليسا سعيدين. اذن، ربما في امكانهما الطلاق».

قالت سوزان في صوت عال بعد ان احمرت وجنتاها:

«آه، يا ايلينا. ما لك وهذا».

«لكن انت التي قلت اذا كان الزوجان غير متفقين...».

«انا لا اعرف مشكلة والديك ولا اريد ان اتدخل في الامر».

خافت ان يسمع احد هذا الحديث وللحال ارادت تغييره وقالت:

«انظري الى هذه الصورة، أليست هذه عشبة الخنشار؟».

تلعثمت الفتاة المرتجفة الشفتين وقالت:

«اريدهما ان يفترقا. واريد ان ترحل امي من هنا».

«ايلينا، ما بك؟».

«صحيح. انها لا تحبني، انا اعرف ذلك. وهي سبب كارثة والدي. مساء امس كانا يتشاجران وسمعتهما. ان غرفة امي تقع قرب غرفتي، وابي... وابي كان هناك...».

اغلقت سوزان الكتاب وقالت:

«هيا، يا ايلينا. لقد تأخرنا. سننهي هذا العمل في ما بعد».

«متى؟ غداً؟».

«يجب ذلك، لأني سأسافر يوم الثلاثاء».

«آه! لكن... لكن بيترو سيبقى هنا العطلة كلها!».

«انه ما زال طالباً، يا ايلينا. اما انا، فانني اعمل ولا استحق عطلة الطول».

«هل ستأتين مرّة ثانية؟».

«لا اعرف. ربما».

استيقظت سوزان صباح الاثنين على صوت المطر الذي كان يطرق على الزجاج بصورة غير منتظرة. فأسرعت الى النافذة ولاحظت أنّ السماء رمادية ومليئة بالغيوم.

كانت قد ارتدت ملابسها عندما دخلت لوسيا جالبة لها فطور الصباح.

«آه، ما دمت مستعدة، ربما تفضلين تناول الفطور برفقة السيد دي فالكونيه».

اجابت سوزان:

«كلا، شكراً يا لوسيا. ما دمت قد احضرته... سآخذه هنا».

«لكن هذا لا يزعجني، يا آنسة...».

«لا اشعر انني في حاجة الى ان اكون مع احد صباح اليوم».

وضعت لوسيا الصينية على الطاولة ونظرت اليها في اعجاب وقالت:

«وانا كذلك، يحدث لي احياناً الشيء نفسه. هذا الطقس يوتر الاعصاب! وللأسف انه يومك الأخير».

حاولت سوزان الاّ تعارض هذه الخادمة او تخيّب آمالها.

وما ان خرجت حتى انكبت سوزان على الصينية وجرعت عدة فناجين قهوة من دون حليب، واكلت سندويشاً صغيراً، ثم اقتربت من النافذة تتكىء عليها. المنظر غائص في ضباب رمادي والافق غائم في عينيها اللتين تخافان ان تريا الحقيقة. بعد اقل من ٢٤ ساعة ستغادر القصر، ومن دون شك بلا عودة. . . .

لكن لماذا تبقى هنا سجينة داخل غرفتها، بينما الرجل الذي ترغب في رؤيته يتناول فطوره وحيداً في الطابق الاسفل.

ونسيت قرارها الحازم وخرجت من غرفتها مسرعة وهبطت السلالم. وبقيت دقيقة مترددة وراء باب غرفة الطعام. وماذا لو كان مارشيللو لا يزال يلومها على تصرفها ذلك المساء؟

طرقت الباب. لا جواب. كادت تعود، لكن لوسيا قالت لها انه هنا. تشجعت وادارت مسكة الباب وفتحته. كان مارشيللو وحيداً يقرأ جريدته. دخلت بهدوء الى الغرفة واغلقت الباب وراءها وظلت جامدة متكئة على الباب. رفع عينيه وقطّب وجهه بعدما رآها. لكنه مع ذلك، ازاح جريدته جانباً ونهض ليحييها في تهذيب، خال من الحرارة.

«صباح الخير. هل جئت لتناول الفطور معي».

اقتربت سوزان في خجل وقالت متلعثمة:

«اوه. . . لا. . . اني. . . لقد تناولت الفطور. لكن من فضلك، اجلس. لم. . . لم آت لأزعاجك».

«اذن، لماذا جئت؟».

«ارى جيداً اني ازعجك! لكنني اردت الاعتذار».

«الاعتذار؟».

«نعم، اريد الاعتذار عن نهار ما قبل امس. عندما اقترحت علي مرافقتي في جولة حول القصر. اعتقد اني رفضت اقتراحك في جفاف. . .».

«كنت مضطرة الى الذهاب الى مكان آخر، اذا كانت ذاكرتي لم تخني. . .».

«نعم، اعرف. . . لكنني، بما اني راحلة في الغد، فانني اتساءل اذا كان في. . .».

«. . . في امكاني ان اريك المجموعة الفنية الكاملة اليوم، اليس كذلك؟».

«نعم».

«آسف. عندي موعد في موفاتو بعد قليل».

«آه، اني. . . اذن. . . اريد فقط الاعتذار لرفضي اقتراحك».

قال مارشيللو وهو يجلس في مقعده:

«لا تفكري بالامر، يا آنسة. اهذا كل شيء؟».

كانت مضطرة للرد عليه، فاكتفت بهز رأسها. فقال وهو يفتت قطعة خبز بين يديه في طريقة آلية:

«اشكرك لاهتمامك بأيلينا خلال اقامتك هنا. قالت لي انك امضيت وقتاً طويلاً معها».

«نعم. . . قمت بذلك في فرح كبير».

صمتت لحظة ثم تابعت:

«وارجو الاّ تلومني لدخولي الى غرفة المكتبة واستعارة موسوعة تتحدث عن النباتات».

نظر اليها مارشيللو في قوة وقال في صوت خفيض:

«وماذا لو قلت لك ان كل ما املكه هو تحت تصرفك؟».

«ماذا تعني؟».

نهض واستدار حول الطاولة من دون عكاز. كان يرتدي سروالا من الجلد وقميصاً حمراء حريرية. كان يبدو مخيفاً تماماً كسلفائه آل ميدتشي. حدّق فيها وهو يقترب منها في بطء حتى وصل اليها وكاد يلمسها:

«لا اعرف ماذا تنتظرين مني، يا سوزان، لكنك لاحظت ان بيننا

الفة وتجاوباً. . . اليس كذلك؟».

«العكازان. . .».

اطلق شتيمة وقال:

«يا الهي، يا سوزان، هل ستواصلين اعتباري معاقاً؟ اذن، لست بالنسبة اليك الاّ هكذا؟ مخلوقاً محطماً، مقطباً، مسناً، ولا يشبه الرجال؟».

خرجت تقول في حدة:

«كلا. آه، مارشيللو. . .».

مدّت له يدها وهي ترتجف. تناولها واغلق اصابعه في داخلها. وارتعشت عندما رفع يدها الى شفتيه وقبّل قبضة يدها من دون ان تكف عيناه عن النظر اليها. وهمس في صوت مبحوح:

«سوزان».

وافهمها بذلك انهما يشعران بالانفعال نفسه. جذبها نحوه وضمها في قوة كادت ان تخنقها.

استعملت سوزان قوة ارادتها للتخلص من قبضته قبل ان يعانقها. فابتعدت الى الوراء تقول اي شيء في صوت يرتجف وغير مسموع:

«يجب. . . يجب ان اذهب. عليّ ان اعد حقائبي».

قال مارشيللو:

«سألغي موعدي في موفانو، يا سوزان».

«لماذا؟».

«كي ابقى معك».

ثم عرج نحو عكازيه وقال:

«بقيت مدة طويلة من دون عكاز. امس وقبل امس واليوم اني ادفع الثمن».

قالت في صوت متردد:

«مارشيللو. . .».

«لا تخافي، يا سوزان. لا انوي استغلال اهتمامك بمجموعتي. لكن بما انك تغادرين في الغد فأنا مستعد لألغاء زيارتي لمتحف موفانو الى يوم آخر. الاّ اذا غيرت رأيك».

«آه، لا، ابداً. لكن، هل تعتقد ان ذلك مفيد؟».

لكنه كان قد اصبح قرب الباب وقال:

«سأتصل بزميلي، باولو تيريني وابلغه الغاء الموعد. سألتقي بك في البهو بعد ربع ساعة».

صعدت سوزان الى غرفتها حالمة، تتساءل ما اذا كانت تعقّد الامور اكثر من اللزوم، نظرت مطولا الى المرآة، الى وجهها الساخن وفمها الكبير.

في الجناح الشرقي الذي يزوره السياح مجموعة من اللوحات الفنية الرائعة ذات قيمة من الصعب تقديرها، اعدها كبار الرسامين المشهورين مثل جيرجيونيه وفيرونيزيه وبليني. . . مارشيللو المعتاد على كل هذه الروائع يقوم بدور الدليل السياحي في رشاقة ومرح.

وفي احدى الزوايا المضاءة بانوار خاصة، لوحة تمثل بواقعية احتفالا دينياً، وهي من رسم كارافاج».

قال مارشيللو في ثقة:

«هذا الرسام خلق ثورة في الرسم الايطالي في القرن السادس عشر. ومعه ولدت نظرية جديدة للنور الذي يظهر الشخصيات في طريقة رائعة ومدهشة».

«هو الذي اشتهر بالغامق- الفاتح، اليس كذلك؟».

«نعم. لكن هذه الصنعة لم تكن هي التي اعطته حق الشهرة الخالدة. كما سبب فضيحة عندما انفصل عن ميزات المثاليين كانت تظهر الجانب المتواضع ولا يتردد في رسمها، ايا كان مظهرها».

«لماذا؟».

هزّ مارشيللو كتفيه واجاب:

«ربما لأنه كان يرى الاشياء هكذا».
«ربما لأنه يعتقد أنّ الاشخاص الذين عاشوا معه، في القرن السادس عشر، يطابقون بسهولة شخصيات من هذا النوع...».
«أكيد. ومن هنا يبدو متقدماً على زمنه».
توقفت عن الكلام ثم سألته:
«هل نتابع جولتنا؟».

كانت تتوقع ان ترى غرفاً ضخمة وشاسعة، لكنها لم تكن تتوقع رؤية هذا الديكور المليء بالتحف الفنية على اختلاف انواعها، اضافة الى الاضاءة الرائعة المنبثقة من السقوف والجدران، من ثريات براقة. وعلى الارض البلاط الرخامي المتعدد الالوان.

في بعض الغرف، لا يوجد سوى واجهات زجاجية تحتوي على اجمل وارقى التحف التابعة للمجموعة الفنية التي تملكها عائلة فالكونيه.

القطع المالية، الحجارة الثمينة، المجوهرات البرونزية والفضية والذهبية المعلقة بسلاسل والتي تمثل عدداً كبيراً من الشخصيات الشهيرة.

والذي لفت انتباه سوزان هو الغرف المليئة بالاثاث. واعجبتها الكراسي والطاولات اللماعة، من خشب الجوز او الارز، المنحوتة او الملبسة والمرصعة بالحجارة الثقيلة. ورفع مارشيللو الحبال المخملية التي تحدد الممر الذي يسلكه الجمهور والسياح وكان في امكان سوزان ان تلمس اي شيء تريده.

قال مارشيللو وهو يرى سوزان تبدي اعجابا بلوحات منحوتة لصندوق العرس:
«حسب رأيي، بين القرن الرابع عشر والسابع عشر، كان المصممون يهتمون بجمال الاشكال اكثر من الراحة. انظري الى

هذا الكرسي مثلاً. هل تتصورين انّ أرجل هذه الكراسي تحمل وزني؟».
«لكنك يا مارشيللو لست توحي بأنك انسان ايطالي!».
«صحيح؟».
«ان الايطاليين هم اجمالا قصيرو القامة، الست من رأيي؟».
«هل ترغبين في الصعود الى الطابق الاول؟».
«كنت اعتقد ان الطابق الارضي وحده مفتوح للجمهور؟».
«نعم، لكني قادر ان اريك الغرف اذا كان ذلك يهمك... احذرك، انها مليئة بالغبار برغم اهتمام لوسيا».
«سأتبعك».
«عظيم، لنصعد».

في طرف الجناح الشرقي تسلقا سلماً ضيقاً ومن دون تعب وصل مارشيللو الى الطابق الاعلى، حيث العتمة تسيطر داخل النوافذ الخشبية المغلقة. فتح مارشيللو احدى النوافذ حتى يتسنى لسوزان القاء نظرة على القرية التي تهبط في الوادي. كان قربها وشعره يلامس كتفها. ولما ابتعد تنفست في ارتياح.

في غرفة النوم الاولى، شراشف بيضاء تغطي الكراسي والطاولة، ولم يكن ممكناً سوى رؤية الاقدام المصنوعة من البرونز. ورفع مارشيللو في سخرية الشرشف الذي يغطي احد الكراسي، المنقوشة بالعصافير الغريبة وفرح لرؤية سوزان تشتد احمراراً. كما رفع زاوية الشرشف الذي يغطي احد الاسرة ليريها التطريز الرائع على الغطاء.

ومن السقف المنحوت تتدلى الستائر التي تحيط بالسرير لتحمي من فيه من تيار الهواء.

لكن الغرف كانت مليئة بالغبار الخانق. وخيوط العنكبوت تملأ جميع الزوايا، وارتجفت سوزان عندما فكرت بهذه الحشرات الصغيرة التي لا شك تملأ المكان. وتأسفت لأن هذه الغرف على هذه الحال.

وزارا الغرف كلها. وفي كل غرفة كانت الاشياء النادرة والثمينة

ولكن وفي معظم الغرف رائحة العفن تدخل الى الحنجرة، كأنّ الهواء لم يدخلها منذ وقت طويل.

ومن خلال هذا الاهمال المؤلم حاولت سوزان ان تتخيّل عهد البهاء والاشراق عند عائلة فالكونيه... وفكرت بالهاوية التي تفصلها عن هذه العائلة الارستقراطية.

سألها مارشيللو بهدوء:

«بمَ تفكرين؟».

مستحيل ان تقول له بماذا تفكر. اكتفت بالرد بلهجة لامبالية:

«كنت اتساءل ماذا كان الناس من زمان يلبسون وقت النوم...».

اجابها مارشيللو وهو يستند الى طرف السرير:

«حتى القرن السادس عشر، كانوا ينامون عراة، الاّ اذا كان الطقس بارداً، فينامون بملابسهم».

احمرت سوزان واجابت:

«فهمت الآن».

«هل انصدمت؟».

«لا، ابداً».

«لكنك تبدين هكذا».

«لم اولد في الامس».

ثم راحت تهتم بمكتب صغير وقالت:

«آه، ما اجمله. اعتقد انه من صنع فرنسي، اليس كذلك؟».

«نعم».

اقترب منها وانحنيا معاً لتفحص المكتب الصغير وادراجه المستترة، فلامس كتفه كتفها وتشابكت انفاسهما وعمّ صمت لا يطاق.

هتف مارشيللو في صوت مبحوح وهو ينهض ليضع يديه على كتفي سوزان التي اغمضت عينيها كأنها اصيبت بدوار رهيب.

انحنى على جفنيها المغمضتين، ثم على خديها، وراح يعانقها مطولاً... تهيأ لسوزان ان تياراً لا يقاوم جرفها وأنها الآن تسبح في بحيرة لا عمق فيها.

بيديه المداعبتين اراد مارشيللو ان يجذبها كلياً نحوه، لكنها قامت بحركة غريزية وحاولت التخلص منه فسألها:

«هل تخافين مني، يا سوزان؟».

«كلا...».

«لكن من المفروض ان تخافي...».

«آه، مارشيللو!».

وجذبها نحوه من جديد وعانقها بعنف وشعرت بارتياح بين ذراعيه، هو الرجل الذي تحب... بالنسبة اليها، الزمان ليس له اهمية. ولما رفع مارشيللو اخيراً رأسه، نظر الى عيني سوزان وقال:

«يجب ان نخرج من هنا».

«اعرف».

«لا انوي الاعتذار».

«انا لا اطلب منك ذلك».

«تعرفين اني اريدك...».

«نعم اعرف. وانا كذلك».

«آه، يا سوزان. ابتعدي عني قبل ان افقد عقلي. لست سوى رجل...».

«انت تلومني؟».

«يا الهي، لا! لكن يجب ان نعود الى الارض، الى الواقع. اتبعيني».

اسند ذراعيه على العكازين وتوجه نحو الباب. فصرخت سوزان تقول:

«لماذا تستمر في استخدام هذين العكازين؟ لم تعد في حاجة اليهما بعد الآن؟ لماذا؟ هل هذه وسيلة لتحمي نفسك من الآخرين؟».

«لا تحاولي تشريحي وتحليلي نفسياً!».

«اريد فقط ان افهمك، يا مارشيللو. هل هذا يعود الى الكدمات في وجهك؟».

لم يرد عليها.

«لماذا تستمر بالمسرحية ذاتها؟ انت تملك جميع وسائل النجاح وجميع المؤهلات».

«وما هي؟ لنكن جديين. املك قصراً في حالة يرثى لها، وزواجاً على وشك السقوط...».

«هنا يمكنك ان تفعل شيئاً... الطلاق...».

«لا مجال للطلاق في عائلتنا. لا تتوهمي يا سوزان».

«لم افكر بالامر قبلاً».

«نعم، اعرف ذلك... انه من المؤسف ان افكر انه لا يمكنني ان احبك علناً...».

تكلّم في صراحة تامة. ولذا زاد احترامها له. على الاقل، الأمور واضحة وكل شيء يعود كما كان عليه من قبل. وبينما كان يتكلم، كان يبتعد عنها تدريجياً. ولا يمكن تصديق ذلك، هو الذي كان يرتجف بين ذراعيها منذ لحظة قصيرة.

كان دائماً يبدو سيد نفسه. الآن وقبل امس عند الشلال، وهي التي فقدت برودة اعصابها. امامه، لا تتسلّح بالدفاع، بل تفقده.

وأمام تصرفه اللامبالي المفاجىء شعرت بالحزن والغضب وقالت:

«في كل حال، لم اكن انا التي فتحت موضوع زواجك المتدهور، بل انت!».

«ارجوك لا داعي للكلام حول هذا الموضوع».

«ولِمَ لا؟».

«وما يجدي الكلام عن الزواج! ليس هناك أمل. وأرجو المعذرة اذا جرحت شعورك في اي شيء ما...».

«من يقول هذا؟ انت اظهرت حقيقة مشاعرك...».

«لا تبالغي. لقد...».

«وربما تفضل ان تنسى ما شعرنا به قبل قليل؟».

«سوزان، احاول ان افهمك...».

«وتريدني ان اقولَ دون شك: كفَّ عن التفكير بذلك، اليس كذلك؟».

«هيا بنا نهبط الى الساحة. هذا النقاش لن يوصلنا الى شيء».

«تشعر انك فقدت الدور الجميل، اليس كذلك؟ وعنفوانك يتألم؟».

«سوزان...».

«آه، مارشيللو. لماذا حصل هذا؟».

نظر اليها مطولاً ثم فتح الباب وقال:

«هيا، الوقت طال وربما تساءل بيترو عنك...».

«لا يهمني ما يقوله بيترو عني؟».

«لا تتسرعي في الكلام... وفكري ان كل هذه الاشياء الفنية والتحف، ستصبح يوماً ما ملكه، الاّ اذا حدثت اعجوبة واصبح لدي ابن».

٨- لا تهربي منه

قال مدير الفندق وهو داخل الى مكتبه:

«سوزان، نهار الثلاثاء المقبل، ستصل فرقة اميركية مؤلفة من ثلاثين سائحاً. نظمنا حتى الآن برنامجاً حافلا لهم، زيارات الأماكن الأثرية والمتاحف... باختصار انه البرنامج العادي. لكن ما زال امامي اضافة سهرة او سهرتين سنأخذهم فيها الى المسرح. هل في امكانك الاهتمام بهذا الأمر؟».

اجابت سوزان مديرها مالكوم نورتن:

«بكل تأكيد، يا سيدي. هل عندك اقتراح بهذا الشأن؟».

«أوه... هذا يتعلق بالأماكن الفارغة. أعتقد ان السياح يحبون المسرحيات الغنائية. لكني أخشى ان تكون الأماكن قد حجزت قبل

ثلاثة أشهر، كما هي العادة».

«سأرى ما يمكنني فعله».

«حسناً، شكراً».

كان مالكوم نورتن على وشك الخروج عندما تذكر شيئاً وسألها:

«سوزان، لا أريد ان أكون متطفلا، لكن... هل هناك شيء ما على غير ما يرام؟».

هزت كتفيها غير مبالية وقالت:

«لا. ابداً. لماذا هذا السؤال؟».

«أراك شاحبة الوجه منذ عودتك من ايطاليا، الشهر الفائت، هل التقطت مرضاً ما او ماذا؟».

«لا، ابداً. كل شيء على ما يرام، يا سيدي. كما تعرف مررنا بفترة عمل كثيف بعد [illegible] الفصح، واشتغلت كثيراً. وربما أشعر ببعض الارهاق».

هزّ نورتن رأسه واصرّ على القول:

«أليست حالتك، متأثرة بهذا الشاب الايطالي الذي لم تعودي تخرجين معه؟».

«بيترو صديق وحسب، لا أكثر ولا أقل. و... أوه... انت تعرف كيف تحدث الأمور. احياناً الناس تخيب آمالك... والعلاقات تسقط...».

«اذن ربما أنت متضايقة من عبد الفايز؟».

«كان السيد عبد الفايز غائباً طيلة هذه المدة».

«اعرف، لكنه عاد منذ بضعة أيام، واتساءل ما اذا كان يستمر في مضايقتك».

«هل أنت على علم بذلك؟».

«طبعاً. لكن كان من الصعب عليّ ان أتدخل في الأمر. انه على علاقة حميمة مع العجوز ستاسي. ربما علاقة قرابة ايضا. في أي حال... صحيح انه رجل لجوج، لكنه ليس بالرجل السيء الذي

تصورين».

فتح الباب وأضاف:

«مهما كان الأمر، أطلب منك الا تقلقي او ترهقي نفسك. فستحل بي كارثة اذا مرضت. استرخي وارتاحي والهي نفسك ببعض التسليات. فهمت؟».

«نعم، يا سيدي».

ولما أغلق الباب وراءه، نهضت سوزان واتكأت حالمة على النافذة التي تطل على شارع اوكسفورد اللندني. المأساة هي أن أمامها الوقت الطويل لتفكر بما حدث في كاسيل فالكونيه. فخارج العمل، لا تفعل شيئاً لتلهي نفسها عن التفكير.

منذ عودتها، لم تر بيترو. ولما غادرت ايطاليا، أفهمته بصراحة انها لا تكن له سوى صداقة عادية. اتصل بها مرة بعد عودته الى انكلترا. وخلال اقامتها في ايطاليا، أدركت سوزان أن بيترو ما زالت تنقصه خبرة الحياة والنضج الكافي، ولذا قررت أن تقطع الجسور بينهما من دون ندم.

أما الآن، فالأمسيات فارغة. وبسبب اقاماتها العديدة في الخارج، فقد فقدت الاتصال بأصدقائها. وبما انها لا تحب الخروج وحدها، أصبحت شقتها الصغيرة كالسجن. أحياناً، تشعر بتوتر خانق، ويأس لأنها لن ترى مارشيللو بعد الآن ونادمة لتصرفها الصريح معه. فأي ذكرى يحفظ منها؟

وانتفضت مرتعشة وعادت الى مكتبها. لماذا تعذب نفسها هكذا؟ ما حدث قد حدث.

وفي مساء اليوم التالي، اتصلت بها والدتها هاتفياً:

«سوزان، حبيبتي، هذه أنت؟».

«من تريدين أن يكون غيري، هنا يا أمي؟ نعم، هذه أنا! كيف حالك؟».

«سآتي الى لندن نهار الخميس. هل في امكاننا تناول طعام الغداء

معاً؟».

صرخت سوزان بسرعة، فرحة لهذا التغيير:

«طبعاً. أين تريدين أن نلتقي؟».

«اقترح عليك مطعم «المشاوي»، حيث الطعام اللذيذ والخفيف، وحيث في امكاننا ان نتحدث في هدوء من دون أي ازعاج».

«اتفقنا. أي ساعة؟».

«الواحدة. ما رأيك؟».

«عظيم».

لكن الساعة كانت الواحدة والنصف عندما دخلت اتابيل فوريست الى المطعم.

«آه، يا حبيبتي، أنا آسفة لهذا التأخر. لكني خرجت من عند الحلاق لتوي».

قالت سوزان بلطف:

«التسريحة تليق بك تماماً. تريدين أن تشربي قبل الغداء، أم تريدين أن تأكلي في الحال؟».

«لنأكل. اني اتضوّر جوعاً. لم أتناول شيئاً منذ مساء أمس، ما عدا فنجان قهوة كريهة في القطار».

نادت سوزان خادم المطعم وطلبت الوجبتين. ونظرت سوزان الى والدتها تسألها:

«أراك مبتهجة ومتألقة. لا شك ان لديك من الأخبار الجديدة الكثير، اخبريني!».

قالت الأم بفخر واعتزاز:

«عقد زوجي صفقة رابحة. وقدم لي رحلة الى المانيا. لم يسبق أن سافرت منذ رحلة شهر العسل».

ان زوج والدتها الثاني مهندس بناء يعمل في منطقة البريستول الانكليزية. ويميل الى البخل مما يجعل العلاقات بينهما تؤدي الى مشاجرات عنيفة. لكن مع تقدمه بالسن، بدأ يتحسن من هذه

الناحية، مما يسر والدة سوزان.

أجابتها سوزان قائلة:

«آه، أنا سعيدة من أجلك! أنت تستحقين فعلا أخذ عطلة خارج البلد».

قاطعتها والدتها وقالت مدافعة عن زوجها:

«أنت تعرفين، ان نيل مشغول كثيراً...».

أرادت ان تقول لها انه برغم انهماكه بالعمل، فهذا لا يمنعه من ممارسة رياضته المفضلة، الغولف، والذهاب في رحلات الصيد البحرية... لكنها فضلت عدم الاصطدام مع والدتها، التي من حقها الدفاع عن زوجها وبخله ما دام بدأ يتغير كلما كبر في السن.

وخلال طعام الغداء لاحظت السيدة فوريست ان قابلية سوزان شحيحة، فطرحت عليها السؤال نفسه الذي سبق لمديرها ان طرحه قبل بضعة أيام.

«أنت شاحبة الوجه. هل هناك مشاكل؟».

«كلا. الأشياء كلها على ما يرام».

«لكنك لا تأكلين كما يجب».

«آه، انه الحر الشديد».

«لم يضايقك الحر من قبل، يا صغيرتي... ماذا جرى لك؟».

«لا شيء، يا أمي. أؤكد لك ذلك! أرجوك دعينا نتكلم في موضوع آخر!».

«لماذا تبدين حزينة اذن؟ انت غير سعيدة... انني احس بذلك... ماذا فعلت في عطلة عيد الفصح؟».

انتفضت سوزان التي كانت تنظر الى الطاولة المليئة بالفاكهة والحلوى وقالت باستغراب:

«في عطلة عيد الفصح؟ ماذا تقصدين بهذا السؤال؟».

«لا تغضبي، يا حبيبتي! لست في صدد فتح تحقيق معك. فقط... كالعادة... تأتين لزيارتنا خلال الأعياد. ولما لم تصلي،

اتصلت هاتفياً بالفندق. وأجابوني انك ذهبت... لا يعرفون الى أين...».

«آه، لقد فهمت! في الواقع ذهبتُ الى ايطاليا تلبية لدعوة صديقي الطالب الايطالي، الذي كنت أخرج معه، وأقمنا في منزل عائلته».

«في منزل عائلته... ولم تفكري في اعلامي بالأمر مسبقاً؟».

«قررت الذهاب في آخر لحظة...».

«يا سوزان، أعرف انك عشت فترة طويلة في ايطاليا، لكن...».

«اسمعي، يا امي، لا تنظري اليّ هكذا. لا أرى شراً في ما فعلت. ان بيترو ينحدر من عائلة عريقة...».

«بيترو! بيترو ماذا؟».

«بيترو فيتاليه».

«وأين تعرفت عليه؟».

«ولماذا تهتمين بالأمر، يا أمي. في كل حال قطعنا علاقتنا».

«ولهذا السبب أنت في حالة توتر؟».

«أنا أردد للمرة الأخيرة. انني على احسن ما يرام».

«لا أصدقك. أعرف ابنتي تمام المعرفة! ولو كنت مكانك، لما ندمت على هذا الرجل آكل المعكرونة».

«أرجوك، يا امي!».

«ماذا قلت؟ أردت مؤاساتك».

«لست في حاجة لذلك! والآن، ألا تريدين أن تختاري بعض الحلوى او الفاكهة؟».

اختارت السيدة فوريست قطعة تارت بالجبنة البيضاء، اما بالنسبة الى سوزان، فبعد اصرار والدتها، قبلت تناول قطعة حلوى. لكنها لم تقدر على تذوق اكثر من قطعة صغيرة جداً.

بينما كانت سوزان تعتقد ان الحديث عن هذا الموضوع قد انتهى أخرجت والدتها منديلا من حقيبة يدها وراحت تمسح عينيها وتقول

في صوت مبحوح:
«ماذا يحدث لنا، يا سوزان؟ لماذا لا تريدين ان تكلميني عن همومك ومشاكلك؟».
«آه، يا امي، اني لا أفعل الا ذلك!».
«نعم، لكنك لا تقولين كل شيء وأنا إشعر بذلك تماماً. لو تعرفين كم أنا مشغولة البال عليك، لمعرفتي انك تمضين أيامك وحيدة هنا في لندن».
«لست وحيدة يا امي. اني أسكن في الفندق».
«وعندما تمضين بضعة أيام او أسابيع وأكثر في الغربة، لا أعتقد ان ذلك يفرحك...».
«آه، يا امي، كفى. اني فتاة ناضجة...».
«واني سعيدة لأنك انفصلت عن صديقك الايطالي. يا الهي، ماذا تفعلين لو تزوجت من رجل ايطالي؟».
«آه، يا امي، لم يكن ذلك وارداً على الاطلاق...».
«صدقيني، يا ابنتي الحبيبة، من الأفضل ان تنتهي الأمور عند هذا الحد».
وتناولت قطعة حلوى اخرى وأكلتها في سرعة غريبة. والظاهر ان الدموع لم تخفف من حدة قابليتها.
ولما عادت سوزان الى الفندق، حاولت ان تفرّغ عقلها من أشياء كثيرة وتركّز على عملها. كانت تطلب رقم شركة طيران للحصول على بعض المعلومات عندما انفتح باب المكتب ودخل رجل في الأربعين من العمر، بنيته قوية وبشرته سمراء قاتمة.
«صباح الخير، يا سيدي. هل... هل في امكاني أن أخدمك في شيء؟».
وأخذ عبد الفايز وقته في النظر اليها مطولا قبل ان يرد قائلا:
«نعم، يمكنك ان تخدميني في أشياء كثيرة، يا آنسة. لكنك لا تبدين على استعداد لمساعدتي».

أغلقت سوزان سماعة الهاتف قبل الانتهاء من طلب الرقم ونهضت وراحت تقول:
«أنا مشغولة جداً، يا سيدي. اذا اردت شيئاً معيناً...».
«حسناً. سأختصر في الكلام. معي بطاقتان لحضور السهرة الموسيقية التي سيغني فيها ايفيري. وأرغب في أن ترافقيني الى هناك».
وبينما كان يتكلم، وضع على المكتب ظرفاً لم ترد سوزان فتحه. يا الهي سيبدأ هذا التركي من جديد في ازعاجها...
«ومتى موعد... هذه السهرة الموسيقية، يا سيدي؟».
«مساء الغد».
«آه، اني آسفة جداً. لست حرة غداً».
تمنت لو يرن الهاتف في الحال حتى يفسح لها المجال لاختراع عذر مقبول. وأضافت:
«هذا لطف منك ان فكرت بي، لكن...».
صرخ غاضباً:
«اخيراً، يا آنسة، لماذا ترفضين دائماً دعواتي؟ ما الذي لا تحبينه فيّ؟ لون بشرتي؟ هل أنت عنصرية؟».
«لا ابداً، يا استاذ. لكن ليس من المفروض لموظفة في الفندق ان تبني علاقات شخصية مع احد الزبائن».
«ولِمَ لا؟».
«آه، يا استاذ، لدي عمل...».
طرقة على الباب أوقفت سوزان عن المتابعة. اتجهت نحو الباب تفتحه وصرخت باستغراب ودهشة لدى تعرفها على الزائر وقالت:
«السيد بوتيغا! يا لهذه المفاجأة!».
«ابلينا لم تخطىء. لديها ذاكرة قوية، هذه الفتاة!».
ما دخل ابلينا هنا؟ ولماذا كارلو بوتيغا هنا؟ .
ولما سمعت عبد الفايز يتنحنح، التفتت فجأة وقالت:

«أين... أين كنا في الحديث، يا سيدي؟».
قال الرجل التركي:
«ما أزال في انتظار ردك».
«آه، نعم، مساء غد؟ لا، هذا مستحيل، اني آسفة».
وخرج عبد الفايز من الغرفة كالصاعقة، فنظر بوتيغا الى سوزان مندهشا وقال:
«ماذا يجري؟».
«لا شيء. تفضل بالجلوس».
«ان مكتبك صغير ولطيف...».
«لقد تكلمت عن ايلينا. هل هناك شيء على غير ما يرام؟».
«لكن... لا شيء. لماذا؟».
«لقد قلت... ان ايلينا قالت لك... أين يمكن ان تجدني».
«بالضبط. أخبرتها عن مكان عملك، أليس كذلك؟».
«نعم، لكن...».
«لن تدعيني أعتقد انك مستغربة كثيراً لرؤيتي هنا؟ لقد قلت لك اني آتٍ الى لندن لقضاء بعض الأعمال».
«نعم. أتذكر ذلك جيداً...».
«وأعتقد انك فهمت... ان فتاة جميلة مثلك لا ينقصها المعجبون...».
«ولكن... أنا... أوه... لم افهم انك كنت تقصد ذلك...».
قال كارلو بابتسامة صغيرة:
«لنقل... اني ألمحت لذلك بصورة غير مباشرة».
كيف في امكانه ان يكون صريحاً في تلك الليلة وصوفيا كانت تراقبه طيلة السهرة.
«هل... هل ستبقى مدة طويلة هنا في لندن، يا سيدي؟».
«سأبقى اسبوعاً واحداً، لا أكثر للأسف. لكنه وقت كاف كي

نتوصل للتعرف الى بعضنا البعض...».
قالت سوزان في عصبية:
«آه! لكن... ليس عندي الوقت كي أراك...».
قطب كارلو حاجبيه وقال:
«لا تقولي انك تعملين ايضا في المساء؟».
«بل، احياناً. في كل حال، انا مشغولة خلال سهرات الاسبوع المقبل كلها».
«لكن، يا سوزان، جئت الى هنا خصيصاً من أجلك! لم اكن قادراً على رؤيتك مطولا في ايطاليا والتعرف عليك أكثر».
«ماذا؟ لكني كنت أعتقد أنك... والكونتيسة دي فالكونيه... على علاقة حميمة...».
«صوفيا وأنا صديقان حميمان. لكن... لكن صوفيا في ايطاليا وأنت هنا».
يا هذه الوقاحة. لماذا يعتقد الرجال ان النساء على استعداد دائم للاستسلام لهم ولسحرهم وجاذبيتهم؟
«أنت تضيّع وقتك، يا سيدي. اني آسفة، لكني لا أنوي الخروج معك».
قال في لهجة تهديد:
«لقد خيّبت أملي، يا سوزان. وآمل ان تكوني قد نسيت اعجابك وانجذابك بالكونت».
انتفضت سوزان لكنها راحت تفتح احد ادراج مكتبها متصنعة التفتيش عن شيء ما لئلا تدعه يلاحظ انفعالها. ثم وقع ظرف عن المكتب، ولاحظت للحال ان الرجل التركي نسي أن يأخذ بطاقاته.
«لا أعرف عما تتكلم!».
«يا سوزان، أنت تكذبين، لكن من غير مهارة. وفي امكاني ان أخبر صوفيا عن هذا... ان مارشيللو يحتقرها دائما وذلك لمغامراتها... العاطفية... ولا شك انها تفرح اذا عرفت ان زوجها

يشبهها ايضا...».

نظرت اليه سوزان وجهاً لوجه وقالت:

«هل هذا تهديد، يا سيدي؟».

هذا الرجل الكريه لا يطاق! ولحسن حظها، وفي هذه اللحظة بالذات، انفتح الباب ودخل عبد الفايز. فقالت له في حيوية وهي تقف لاستقباله:

«آه، سيدي. جئت في الوقت المناسب. السيد بوتيغا يستعد للخروج وأريد ان اطلب منك شيئاً».

«مني؟».

فقالت للسيد بوتيغا في نظرة متعالية:

«اعتقد انه لا يوجد شيء تقوله، يا سيدي».

غادر المكان من دون كلمة بعدما رمقه الرجل التركي بنظرة حادة.

وبعد زفرة الارتياح. جلست سوزان على الكرسي ووجهها شاحب، وبعدما نظر اليها عبد الفايز في صمت، مدّ يده وقال:

«بطاقاتي من فضلك، يا آنسة».

«ماذا؟ آه نعم، البطاقات طبعاً. ها هي شكراً».

«تريدين ان تقولي لي شيئاً، أليس كذلك؟».

لم ترد فقال:

«نعم، فهمت جيداً... الى اللقاء، يا آنسة هانت».

«آه... لا تذهب هكذا! اعذرني. لكن... هذا الرجل...».

سألها عبد الفايز:

«ماذا جرى. هل أخافك؟».

«نعم، قليلاً».

«هل في امكاني ان أفعل شيئا ما لك؟».

انه فجأة رجل لطيف، يهتم بها في حنان ويبدو عليه القلق

فقالت في صوت مرتجف:

«كلا. لا أعتقد».

انحنى امامها وقال:

«أنا طوع بنانك يا آنسة».

قالت في صوت متقطع:

«وبخصوص الحفلة الموسيقية... هل ما زال في امكاني ان أغيّر رأيي؟».

نظر اليها غير مصدق وقال:

«هل تريدين حضورها».

«اذا ما زلت ترغب في اصطحابي...».

«اذن، الآن، هل أنت مستعدة لقبول دعوتي؟».

«نعم...».

«آه، النساء! من في امكانه فهمهن؟».

«اذا كنت تفضل الا...».

«بلى. بلى! اني مسرور لذلك...».

٩- صوت المحبوب

رنين الهاتف أيقظ سوزان من نوم عميق. ولا شعورياً وضعت اصبعها على جرس المنبه، لكن الرنين ظل مستمراً، فأزاحت الغطاء عنها ونهضت من سريرها في تأفف وتوجهت الى غرفة الجلوس.

كم الساعة الآن؟ تساءلت سوزان وعيناها ناعستان وهي ترى الضوء يدخل من وراء الستائر السميكة. أي نهار اليوم؟ الأحد؟ نعم، الأحد. رفعت سماعة الهاتف وقالت:

«آلو!».

«سوزان؟».

ولما تعرّفت الى الصوت المحبوب، شعرت بدوار خفيف وقالت تاركة نفسها تنزلق في كرسي قريب:

«مارشيللو!».

«سوزان، كيف حالك؟».

قالت في صوت مخنوق:

«أنا... في تمام الصحة والعافية. من... من أين تكلمني؟».

«اني هنا في لندن. أريد ان أراك».

«آه...».

من الصعب عليها ان تدرك ما يحدث الآن. هل هذا حلم؟ وبعد لحظة ستستيقظ منه؟ مارشيللو... في لندن... هذا غير معقول.

أضاف يقول في نبرة جافة:

«ألا تريدين رؤيتي؟».

«اني... اني...».

ترددت متفاجئة وسألته:

«كم الساعة الآن؟».

«الساعة؟ انها الساعة الحادية عشرة تقريباً».

صرخت الفتاة قائلة:

«الحادية عشرة!».

لم يسبق لها ان نامت حتى ساعة متأخرة من الصباح. ماذا جرى؟ فجأة استعادت ذاكرتها. مساء امس، اصطحبها عبد الفايز الى حضور العرض الأول لفيلم يقوم فيه احد ابناء عمه بدور ثانوي. ولم تخلد الى النوم حتى الرابعة صباحاً. انها المرة الثالثة تلبي فيها دعوة عبد الفايز، خلال الأسابيع الثلاثة الماضية. فقد عرفت أخيراً ان تمتع برفقته وتتعرف اليه عن كثب. ان مديرها مالكوم نورتن على حق. ان عبد الفايز ليس مرعباً كما كانت تعتقد. سألها مارشيللو:

«هل أيقظتك من النوم. آه! المعذرة! اعتقدت أنك في مثل هذا الوقت تكونين قد استيقظت».

قالت في انزعاج:

«خلدت الى النوم في ساعة متأخرة».

ساد صمت بارد. سألته خائفة ان يقفل السماعة وتفقده الى الابد:

«ماذا تفعل في لندن، يا مارشيللو؟».

«هذا شأني، على ما اعتقد. اذن، هل توافقين على ان نلتقي؟ نعم أم لا؟».

تلعثمت وهي ترد عليه:

«نعم. طبعاً. متى؟ وأين؟».

«ان فندقي غير بعيد عن الفندق الذي تعملين فيه. هل تريدين أن امر بك بعد ساعة؟».

«حسناً آه، مارشيللو، اني... اني سعيدة جداً...».

«حسناً. الى اللقاء، بعد ساعة».

وأقفل السماعة من غير ان يترك لها مجال الرد عليه والاستمرار في الحديث.

وبينما كانت تعد نفسها لاستقبال مارشيللو، حاولت ألا تفكر كثيراً في الأسباب التي دعت مارشيللو للحضور الى لندن. لكن كيف بامكانها التفكير في شيء آخر؟ لذلك وجدت نفسها في حالة متوترة ومضطربة بشكل لا يوصف، ولدى التفكير باللقاء القريب بدأ قلبها ينبض بسرعة كبيرة.

ماذا ترتدي؟ انها حائرة، يداها ترتجفان، أخرجت من خزانتها معظم فساتينها، وراحت تجرب الواحد تلو الآخر. لا شيء كان يعجبها، غير انها ألقت بها كلها جانباً. اخيراً قررت ارتداء فستان بأكمام واسعة من الحرير المعرّق باللون الأصفر والأزرق والأحمر والأخضر. وتظهر الياقة رقبتها الطويلة وكتفيها النحيفتين. كما ان حذاءها العالي يرفع قامتها الممشوقة. وبينما خرجت من شقتها الواقعة في الطابق الأرضي، كانت سيارة جاغوار تسير في محاذاة

الرصيف.

وراح قلبها يسرع طرقاً وهي ترى السيارة تتوقف امامها ويخرج منها مارشيللو، أنيقاً في بدلة رمادية من الكتان الرفيع.

دار حول السيارة ليفتح لها الباب وتهيأ لها انه يعرج بصعوبة أقل.

«صباح الخير، يا سوزان. تفضلي بالصعود».

كانت تنظر الى وجهه، هذا الوجه المقطب الذي يملأها توتراً غريباً. كيف تفسر هلعها حيال هذا الرجل الذي لا يمكنه ان يحبها علناً؟

ومن دون كلمة، جلست سوزان في المقعد الأمامي. وصعد قربها مارشيللو وراح يقود السيارة في صمت. ومن طرف عينيها تمكنت سوزان من النظر اليه ملياً، وبدا لها ان وجهه متعب، كأن الحياة لم تكن طيبة تجاهه هو ايضا. انقبض قلبها ألماً، لكنها استعادت وعيها وتذكرت ان مارشيللو دي فالكونيه ليس في حاجة لشفقتها ولا حتى... لحبها.

الحب! انه هراء... لقد عرفت الحب وبعده اكتشفت ان الرجل الذي تحب ليس حراً...

قال اخيراً لما وصل الى ساحة بيكاديللي:

«حاولت الاتصال بك مساء امس، لكن الظاهر لم تكوني في المنزل».

«نعم. خرجت مساء امس».

«مع اصدقاء؟».

«نعم... مع صديق».

يا الهي... تمنت لو كانت في المنزل مساء امس...

«مع صديق؟ هل امضيتما سهرة حلوة؟».

تقلصت سوزان وغرزت اصابعها بعصبية في حقيبتها المصنوعة من القش وقالت محتجة:

«لماذا تسألني عن ذلك؟ لا أعتقد انه يهمك معرفة ما اذا كنت قد امضيت سهرة جميلة مع . . . مع شخص آخر!».

«بلى. من هو هذا الشخص؟ هل أعرفه؟ بيترو؟».

هزت رأسها سلباً، فقال:

«كارلو؟».

اجابت سوزان بعدما اصفرّ وجهها:

«كارلو؟ هل. . . هل هو في لندن؟».

«نعم، اذا كانت معلوماتي صحيحة. في كل حال جاء الى هنا منذ بضعة اسابيع، أليس كذلك؟».

«صحيح؟».

فسألها بنظرة مستقصية:

«ألم تعرفي بالأمر؟».

«هل. . . هل قال لك كل شيء؟».

«كلا. كل ما عرفت انه طلب من ايلينا معرفة عنوان عملك في لندن».

«آه، فهمت. . .».

نظرت سوزان الى رفيقها بارتباك. يداه المتقلصتان على مقود السيارة وشفتاه المزمومتان، كلها تدل على اضطراب داخلي لديه. لكن ماذا ينتظر ليسألها ما اذا كانت قد خرجت مع كارلو؟ لكنه ظل صامتاً. فانتهت بالقول في صوت منخفض:

«لقد. . . جاء الى الفندق».

لم يرد. فقالت:

«ماذا اذن، ألم يعد لديك اسئلة تطرحها عليّ؟».

«أنا لا استغرب. . .».

«لم اخرج مع كارلو. . .».

«صحيح؟».

«كلا. . . كنت على حق حول رأيك فيه. وأنا لم أكن مدركة

للوضع، لقد حدد لي موعداً بشكل ما».

هز مارشيللو كتفيه وانعطف في شارع كينغز رود متجهاً نحو طريق ريتشموند وكان مركزاً على القيادة وسط ضوضاء السير وعلى غير استعداد للرد عليها. وانتبه الى مكان فارغ قرب حديقة ريتشموند، فأوقف محرك السيارة وساد صمت طويل. ومن وراء الزجاج كانا يسمعان طنين العربات وصريخ الأولاد الذين كانوا يلعبون فوق العشب الأخضر.

استدار مارشيللو في مقعده نصف استدارة ووضع ذراعه على مسند مقعد سوزان وحدّق بها يراقبها ثم قال فجأة:

«تبدين متعبة، يا سوزان».

أخذت ترتجف وتقول:

«شكراً جزيلا. كنت أرغب كثيراً ان اسمع مثل هذا الكلام!».

«لماذا كنت تريدين مني قوله؟».

«في أي حال، ما دمت تعتقد ذلك. . . وأنا بامكاني أن أرد عليك بالمثل. . .».

انخطف صوتها فقال:

«اعرف. . . لم أعد أنام، يا سوزان».

قالت في قلق:

«آه! لكني اعتقدت. . . لكن يبدو انك اصبحت تمشي بسهولة اكثر. . .».

«هذا صحيح. ان ظهري في تحسن ملموس. احدى صديقاتي طبيبة ووصفت لي جلسات عدة من التدليك الطبي أفادتني بشكل واضح».

احدى صديقاته، طبيبة. . . لا شك انه يعني بذلك مارينا روسي. لم تنس سوزان هذا الاسم. فجأة شعرت بألم الغيرة. فحدّق بها مارشيللو بقوة وقال في هدوء:

«وماذا لو قلت لك ان هذا الارق الرهيب لا علاقة له

بصحتي؟».

حبست سوزان أنفاسها. فتابع مارشيللو يقول:

«من يكون الرجل الذي خرجت برفقته مساء أمس؟ هل تحبينه؟».

اشارت سوزان بحركة سلبية وعنيفة من رأسها وأجابت:

«انه... انه أحد زبائن الفندق. سبق أن خرجت معه مرات قليلة جداً. لو عرفت... انك...».

توقفت فجأة عن الكلام، ألم تكن تفضح نفسها؟ وهذا الرجل، هل يهتم بها؟ كان يجب ان يأتي كارلو بوتيغا الى لندن حتى يقرر مارشيللو اعادة الاتصال بها.

«اكملي حديثك، لو عرفت ماذا؟».

«آه، لو اعطيتني علماً مسبقاً... بمجيئك، لا شك اني كنت اعتذرت من الزبون...».

قال في سخرية وهو يلمس شعرها بيده ويقول:

«افهم الآن. هل تخرجين كثيراً في الأمسيات؟».

ضحكت سوزان من دون فرح. لم تخرج للسهرة الا ثلاث مرات خلال أسابيع عديدة، أي منذ عودتها من ايطاليا. لكن كيف تقول له انها تفضل البقاء وحيدة مع أفكارها الحزينة وقضاء الأمسيات في شقتها، بدلا من التظاهر بالمرح المفتعل؟ هذا مستحيل. سألته اخيرا من دون أن ترد على سؤاله:

«وأنت؟».

اسقط يده على ركبته وأجاب:

«والى أين أذهب؟».

«في مثل مقامك ووضعك الاجتماعي لا شك انك تتلقى دعوات الى عدد لا يستهان به من الحفلات...».

«... التي اليها برفقة زوجتي الرائعة، أليس هذا ما تريدين قوله؟».

«من... من دون شك...».

شدّ على معصميه بعنف وقال:

«يجب ان تعرفي اني لا أصطحب صوفيا الى أي مكان».

«ولماذا؟ انها امرأة رائعة الجمال. وهذا ما قلته عنها الآن. لماذا تكرهها الى هذه الدرجة؟ اذا... اذا لم تتصرف كما يجب بعد الحادث، لماذا تستمر في اهانتها واتهامها؟ في أي حال، ليست سوى انسانة ضعيفة وهذا من السهل فهمه...».

قال في حدة وعنف:

«لم آت الى هنا لأسمعك تتكلمين عن ضعف زوجتي المفروض مني أن أتقبله وأفهمه، وبالتالي أن أسامحها على ذلك...».

اخترقتها نظرته الثاقبة. فكبتت دموعها وخرجت كالمجنونة من السيارة ولم تنظر الى الوراء بل اختفت مسرعة على العشب الأخضر.

وبعدما اطلق شتيمة سريعة، نزل من السيارة وناداها. لكن، هل بامكانها ان تسمعه وسط ضحكات الأولاد الفرحين الذين يلعبون في الكرة؟ ومن دون تردد، أخذ يتبعها.

لاهثة، صاخبة، مشعثة الشعر، توقفت سوزان تحت مجموعة أشجار متماسكة لتأخذ نفساً عميقاً وتمسح العرق المتصبب على جبينها، واذا بها تنتفض من الألم، من جراء قبضة قوية على ذراعها. التفتت فسألها بلهجة عنيفة:

«ماذا جرى لك؟ لماذا تتصرفين هكذا؟».

كان وجهه الضعيف شاحباً. لا شك انه قام بجهد كبير للوصول اليها. فقد فك ربطة عنقه وفتح أزرار قميصه. كان صدره يعلو وينخفض من شدة التعب.

«أنا... أنا... دعني وشأني!».

«انك لا تنوين العودة الى الفندق مشياً على اقدامك؟».

«ولم لا؟».

«ليس من عاداتي ان أترك امرأة، مهما كانت...».

تنهد بصعوبة فقالت:

«ولماذا كل هذا، يا مارشيللو؟ لن يكون هناك أي مخرج... او حل...».

وضع يديه على كتفيها وبحركة سريعة، جذبها نحوه وعانقها مطولا. وهي، عديمة القوى، غير قادرة على مقاومة رغبتها التي تجتاحها. وراحت ترتجف مثل ورقة وتتعلق بعنقه كغريقة. فهمس في اذنيها:

«هل ما زلت تنوين الهرب مني؟».

قالت بصوت منخفض:

«كفى، سيرانا الناس».

«وهل هذا يزعجك؟».

«كم من الوقت ستبقى هنا؟».

«هنا، تحت هذه الشجرة أم في انكلترا؟».

«في انكلترا، طبعاً».

قال وهو يبتعد عنها قليلا:

«هذا يتعلق بأمور كثيرة... هيا بنا، تعالي سأصطحبك الى مكان نأخذ فيه طعام الغداء. لدي أشياء كثيرة أحدثك عنها».

ومن دون كلمة، تبعته حتى السيارة، وهي تقوم بجهد كبير لتتنفس بشكل طبيعي. عناقه أضعف قوتها وجعلها تشتعل من الداخل...

تناولا طعام الغداء في مطعم قريب، من شرفة تطل على النهر. وأكلا شرائح العجل المشوية مع الخضرة المسلوقة، ثم حلوى الفراولة. وبينما كانا يحتسيان الشراب، قال مارشيللو:

«هل كنت تعنين ما تقولينه، في ما يتعلق بصوفيا؟ أو كنت تحاولين ان تجرحي شعوري؟».

«ولماذا أريد ان أجرح لك شعورك؟».

«لا أعرف. ربما من اجل الانتقام».

«الانتقام؟ لكن... مارشيللو، أنك أسأت فهمي...».

قال وهو يحدق في عينيها:

«آه، ما هذا الكلام؟ هذا الجدل لن يؤدي بنا الى أي مكان».

احمرّت ثم شحبت وقالت:

«هل... هل جرحت شعورك؟».

«يا الهي. يجب ان تعرفي ذلك. هل يجب عليّ ان أريك كدماتي؟».

«أنت... أنت اردت ان تحدثني؟».

«ليس هنا. هذا غير معقول».

فاقترحت في صوت منخفض:

«ربما في امكاننا... ان نذهب الى شقتي بعد الغداء».

قال وهو يضع يده بيدها:

«عظيم! يسرني ان أعرف أين تسكنين؟».

سألته سوزان بصوت متقطع:

«كيف... كيف حال ايلينا؟ كنت... فكرت ان أكتب اليها بعد عودتي، لكني كنت أخشى الا يعجبك ذلك».

ضحك قليلا وقال:

«ربما احتفظت بهذه الرسائل من أجلي. لو تعرفين الى أي درجة كنت أرغب برؤيتك. أصبحت كالمجانين!».

«ومع ذلك... كان يجب ان يأتي كارلو الى لندن ليدفعك الى ان تفعل مثله؟».

«هل تعتقدين ذلك؟».

«أليس هذا صحيحاً؟».

«يا الهي، كلا! لم أكن اعرف أين تعملين، يا سوزان. الفنادق في

لندن عددها هائل!».

«كان بامكان بيترو ان يدلك على مركز عملي».

«هل تتصورين انّ باستطاعتي ان اسأله ذلك؟».

«اذن، انها ايلينا... التي...».

هز رأسه ايجاباً وترك يدها وقال:

«لقد انتبهت الى ان كارلو جعلها تعترف بكل شيء عنك، فانزعجت من الأمر، وأخبرتني كل شيء».

«ولهذا السبب، قررت المجيء الى لندن؟».

«ترددت قليلا. لم أكن واثقاً من نفسي... ولا منك... وكنت حينذاك قد بدأت سلسلة التدليك. وكان من الحماقة ان أتوقف عنها».

قالت سوزان بجفاف:

«وبرفقة صديقتك الطبية، أليس كذلك؟».

رمقها بنظرة سريعة وقال:

«نعم. ماذا. هل لديك شيء ضد التدليك؟».

«كلا...».

«اذن، ضد صديقتي؟».

لم ترد عليه. فسألها وهو ينظر اليها في حيرة وارتباك:

«لقد سمعت عنها، على ما أظن».

«نعم... خلال اقامتي في قصرك، دعيت ليلة الى العشاء عند آل روسي، أليس ما أقوله صحيحاً؟».

«صحيح».

«وأكدت عمتك ان مارينا روسي طبيبة شابة عادت الى ذويها وأضاف بيترو انكما... انكما صديقان منذ عهد الطفولة».

«هذا كل ما قاله. ألم يقل بطريق المصادفة ان الجميع كانوا يريدون مني أن اتزوجها؟».

«بلى...».

«هل أنت غيورة؟».

لم ترد، لكن نظرتها كانت معبرة.

«لكن لماذا؟ لو أردت الزواج منها، لفعلت ذلك قبل ١٥ سنة».

«هل أنت متأكد مما تقوله؟».

«نعم، تماماً. يا الهي، لا داعي يا سوزان لأن تغاري من مارينا. أرجوك صدقيني!».

«لكن، انها هي التي... تدلك...».

«يا حبيبتي المسكينة. ما تفعله شيء صعب ولا يسلي كما تعتقدين».

سألته سوزان في صوت متردد:

«كيف هي؟».

«من؟ مارينا؟ قصيرة القامة، سمراء، جافة وعصبية. لديها حماسة رائعة وطاقة كبيرة. اذا تعرفت عليها، ستحبينها يا سوزان. انها انسانة شديدة الطيبة».

«ولماذا لم تتزوجها؟».

«انها صديقة فقط، لا اكثر ولا أقل».

«هل كانت عائلتاكما تريدان أن تتزوجا؟».

«آه، نعم! ان آل روسي أغنياء جداً. وكان والدي يرغب بأن أتزوج من مارينا، وذلك من أجل رفع شأن آل فالكونيه».

«وماذا بعد؟».

«لو احببت مارينا، لما كان هناك أي مانع من أن أتزوجها. لكن الوضع كان مختلفاً. لقد حصل بيني وبين والدي شجار عنيف، لكني كنت مصراً على موقفي. وبعد مشاجرة حادة، قررت الرحيل وجئت الى روما وعملت في أحد الفنادق».

«وهناك تعرفت الى صوفيا».

«نعم، في روما تعرفت الى صوفيا».

جاء الخادم ليفرغ الطاولة، فاقترحت سوزان على مارشيللو ان

يحتسيا القهوة في شقتها. فوافق على عرضها وطلب من الخادم احضار الفاتورة في الحال.

وبعدما أوقف مارشيللو السيارة في مرآب الفندق، توجها معاً الى شقة سوزان. وفي زحمة الصباح وتشنج سوزان، نسيت أن تفتح النوافذ. فكان الجو داخل الشقة خانقاً. وبينما أسرعت لتفتح النوافذ أغلق مارشيللو الباب وراح ينظر حوله باهتمام. وتساءلت سوزان في انزعاج بماذا يفكر الأن؟ بالطبع، لا شيء هناك يمكن مقارنته بقصر فالكونيه.

فصرخ في اقتناع ظاهر:

«لكن، هذا المكان رائع!».

صرخت سوزان وهي تتناول احدى الوسائد المخملية وتضعها في مكانها:

«آه، لا يمكنك ان تقول ذلك! لكن، على الأقل، هنا، أشعر بحريتي».

تناول الوسادة ورماها على المقعد. ثم أخذ وجهها بين يديه وقال وهو يلامس وجنتها:

«اني احب طريقة تنظيمك للغرفة. لا يوجد هناك اي خطأ في الذوق».

«آه، لا يوجد شيء جميل حقاً. . .».

لكنه لم يدعها تكمل جملتها اذ قال:

«انها شقة عصرية، واضحة وعملية. ماذا تطلبين أكثر من ذلك؟».

«آه، لا تمثل عليّ. ترى جيداً ان الجو داخل الشقة خانقاً، كما انه لم يتسن لي الوقت لتنظيف السجاد. . .».

«والآن، أين القهوة؟ أليست جاهزة بعد؟ هل تسمحين لي ان أخلع سترتي؟».

قالت سوزان وهي تتوجه نحو المطبخ الصغير:

«طبعاً».

كانت تحضر الصينية عندما لحق بها. كان قد فتح ازرار قميصه ورفع الكمين على ذراعيه القويتين. أسند ظهره على باب المطبخ وراح يحدّق فيها بقوة جعلتها تفقد توازن عقلها. فتلعثمت وهي تقول:

«اعذرني. انها قهوة مصنوعة من البن الاصطناعي . . .».

وبيد مرتجفة سكبت الماء المغلي على القهوة فقال في لهجة جافة:

«لا بأس، انها قهوة، أليس كذلك؟ هل تريدين ان احمل الصينية الى قاعة الاستقبال؟».

«لا، سأقوم أنا بذلك».

قامت بحركة مفاجئة لتمنعه من حمل الصينية، فانقلب ابريق القهوة بقوة على الطاولة وامتلأ وجه سوزان بالقهوة الساخنة. فصرخت من الألم وأمسكت فوطة وراحت تمسح وجهها ويديها بسرعة. ومارشيللو أطلق شتيمة. ثم أخذها من معصمها وسحبها نحو المغسلة وفتح الماء البارد على يد سوزان الساخنة.

«هذه المرة، أنا سأحمل الصينية».

حمل الصينية ووضعها على الطاولة المنخفضة قرب المقعد الواسع.

همست بصوت متقطع:

«شكراً. اني. . . اني لست هكذا عادة. . .».

حدّق بها في نظرة طويلة مليئة بعواطف لم يبح بها علناً. وفي قفزة سريعة أصبح قربها، وأخذ يديها ووضعها على شفتيه وقال:

«سوزان، لماذا المقاومة أكثر فأكثر؟».

عديمة القوة، وغير قادرة على القيام بأي حركة، شعرت سوزان بالخدر وهي تنظر اليه. وفي بطء ونعومة كان يلمس كف يدها بفمه. . . وأمام هذه المداعبة الحنونة، كانت الرعشة تحتل كل أنحاء جسم سوزان. ولما جذبها اليه، استسلمت وانجرفت بانفعالها الذي

لم تكن قادرة ان تسيطر عليه. ووجهها المندس فوق صدره حيث كانت تسمع نبضات قلبه. فضمته اليها شابكة يديها حول خصره.

همس مارشيللو:

«آه، يا سوزان، يا حبيبتي، ضميني اليك أكثر وأكثر».

انتفض لدى سماعهما طرقاً على الباب.

«أرجوك، من أجل السماء، لا تردي».

دفعته في هدوء وقالت:

«بل، يجب ان أفتح الباب. ربما جاء أحد من الفندق».

«بامكان أي كان أن يتصل بك هاتفياً قبل المجيء الى هنا».

«لن أدع الطارق يبقى طويلا. سأعود في الحال».

فتحت الباب وأطلقت صرخة رعب وهي ترى رجلا غريباً يقتحم المكان ويدخل الى غرفة الاستقبال. لكن، عندما شاهدت الرجل الذي كان يتبعه، بدا على وجهها الاستغراب.

قال كارلو بوتيغا في سخرية بينما دخل الرجل الآخر الى غرفة النوم:

«مرحباً، يا سوزان. التقينا مرة أخرى!».

«ماذا... ماذا تفعل هنا؟ كيف تجرؤ على الدخول من دون ان أدعوك؟ ومن هذا الرجل؟».

قال مارشيللو من عتبة باب غرفة النوم:

«هذا واضح وجلي. زائرنا... جاء الى هنا... في مهمة خاصة، أليس كذلك؟».

ثم أضاف في سخط:

«اني أرى ان زوجتي العزيزة لم تضع وقتها وعادت تعيد الكرة مرة اخرى...».

قالت سوزان وهي تمسح العرق المتصبب من جبينها:

«اني... اني... لا أفهم».

أجابها مارشيللو وهو يشير الى الرجل الخارج من الغرفة:

«لكن بل، المسألة بسيطة وواضحة. هذا... هذا الرجل... هو مخبر سري... واني أراهن... اننا أعطينا الآن حجة جلية لصوفيا كي تطلب الطلاق وتربحه!».

١٠- اثنان في غرفة

«لكن لم. . .».
رمقها مارشيللو بنظرة ذات معنى، فسكتت.
«لا داعي لاخبارهما عن اسرارنا، يا سوزان! لقد وجدنا معاً، وهذا يكفي! هل تفهمين جيداً ماذا اعني؟».
قال كارلو ساخراً:
«طبعاً، هي فهمت. اما بالنسبة اليك يا سيد دي فالكونيه، فانا سعيد اذ اراك تتقبل الامور بطيبة خاطر. كنت اخشى ردة فعل. . . قوية. . . من جانبك».
جابهه مارشيللو في عزة نفس:
«نحن الآن في شقة الآنسة هانت، يا بوتيغا، ولا اريد فضيحة

هنا. ومن جهة ثانية، لست مجنوناً كي اتشاجر معكما. وكذلك لست جباناً ايضاً وسأبرهن بذلك عندما تريد. . .».
«هل هذا تهديد؟».
«فسّر كلامي كما تشاء. والآن، هل ستوضح لنا سبب هذه الزيارة؟».
نادى كارلو قائلاً:
«بيناتي!».
تقدّم المخبر السري خطوة الى الامام وقال في لهجة شنيعة:
«أنا هنا بأمر الكونتيسة دي فالكونيه، لأوكد. . .».
قاطعه مارشيللو وهو ينظر الى سوزان التي كانت ترتجف كورقة في الهواء:
«حسناً. حسناً. فهمنا ذلك. لقد قمت بما طلب منك. والآن بامكانك الخروج في الحال».
خرج بيناتي وتبعه كارلو. ولما انغلق الباب وراءهما، تنفست سوزان الصعداء وقالت في قلق:
«آه، يا مارشيللو!».
كان يذرع الغرفة ذهاباً اياباً مثل نسر في قفص.
وبعد لحظة، همست قائلة:
«هل. . . تلومني؟».
«ألومك؟ انت يا سوزان؟».
توقف عن المشي وراح يتأملها في اعجاب ومحبة وقال:
«ولماذا ألومك؟ ألا تعرفين اني احبك؟».
ردّدت في صوت مختنق من شدة الانفعال:
«تحبني؟ لكن. . . ماذا ستفعل الآن؟».
«يجب ان افكر قبل كل شيء. . .».
عاد يجوب الغرفة، ثم قال بغضب ساخط:
«صوفيا امرأة شريرة! لن تتغيّر ابداً. كان يجب عليّ ان اشك في

الامر...».

تلعثمت سوزان وهي تقول:

«لكن هي... انت... ليست المرّة الاولى...؟».

قال حانقاً:

«ومن تعتقدين اكون. لقد قلت لك الآن اني احبك، يا سوزان! وانت تتصورين...».

«المعذرة يا مارشيللو. لكنك قلت الآن انّ زوجتك لم تضع وقتها انما تعاود الكرة مرّة اخرى. لذلك استنتجت...».

«نعم، بالطبع... يجب ان افسر لك اموراً كثيرة وهذا ما كنت سأفعله، عاجلاً ام آجلاً. ولا شك انك فهمت...».

«أفهم ماذا؟».

اطلق زفرة عميقة ونظر اليها في حنان كبير وقال:

«يجب ان اكلمك قبل كل شيء».

دخلت سوزان غرفتها في اضطراب ثم خرجت بعد قليل مرتدية سروال جينز وقميصاً قطنياً. فأشار اليها بالجلوس وقال:

«من اين ابدأ؟».

«قل لي لماذا تزوجت صوفيا. هل كنت تحبها؟».

تردد قليلاً قبل ان يقول:

«حسناً. سبق ان اخبرتك في اي ظروف وصلت الى روما. هل في امكانك ان تفهمي حالتي عندما التقيت بصوفيا؟ كنت شاباً، وحرّاً للمرّة الاولى في حياتي، ولم تكن... تبخل عليّ... بحسنها و...».

«في نهاية الامر، استسلمتما لبعضكما، اليس هذا ما تريد ان تقوله؟».

«نعم. كانت جميلة وجذابة وكنت فريستها المنتظرة. ولمّا اخبرتني انها كانت تنتظر مولوداً سعيداً، فعلت ما كتب لي الشرف وتزوجتها. لكني اكتشفت بعد ذلك انها تزوجتني فقط من اجل اسمي وشهرتي،

كي تصبح الكونتيسة دي فالكونيه...».

«لكن... ايلينا؟».

«ولدت ايلينا بعد ثلاث سنوات على زواجنا...».

«آه! لكن انت... كنت تحبها؟».

«من دون شك. في بادىء الامر كنت احبها كثيراً. لكن، بعد وفاة والديّ، جئنا لنعيش في كاسيل فالكونيه وهناك اكتشفت صوفيا أنّ كونها كونتيسة ليس شيئاً مربحاً وجذاباً في هذه البقعة من العالم. ولم يكن لديّ الوقت الكافي للاهتمام بها، من كثرة ما كنت منهمكاً في اعمالي. استدان والدي في سنواته الاخيرة اموالاً طائلة محاولاً المحافظة على نمط حياته. مما اضطرني للبحث عن حلول متنوعة للخروج من هذا المأزق المادي. وكانت صوفيا من جهتها تمل وتحاول البحث... عن... بعض التعويض... في مكان آخر...».

«وهل كنت على علم بالامر؟».

«في مثل هذه الامور، الزوج آخر من يعلم كما تعرفين. لا، لم اعرف بالمغامرات العاطفية التي كانت تخوضها خلال السنوات الفائتة، وما علمت الّا بعد زمن طويل...».

«لكن... لكن، كيف...؟».

«كيف علمت بالامر؟»

«بأبسط وأتفه الطرق. كنت احب التزلج على الثلج وكنا نذهب الى كورتينا في جبال الالب بصورة منتظمة، أمضي طيلة النهار في التزلج، اخرج في الصباح قبل ان تستيقظ واعود بعد الظهر لأجدها في قاعة الاستقبال محاطة بمعجبين كثيرين».

تردد قليلا ثم تابع:

«ثم، في احد الايام، عدت ابكر من العادة... وفاجأتها مع احد مدربي التزلج في غرفتنا».

«يا الهي!».

«وتتصورين في اي حال كنت. خرجت من الفندق كالمجنون.

وركبت المصعد السلكي حتى القمة. ومن هناك هبطت في ساحة التزلج الأكثر خطورة. بالكاد اتذكر اللحظة التي فقدت فيها السيطرة على معدات التزلج. لا شك انه اغمي عليّ في الحال. وعندما فتحت عيني، الرجل الذي فاجأته بصحبة صوفيا كان يرشني بسائل منبه وسط الضباب الذي كان يلفني، هذا هو الشيء الوحيد الذي تذكرته بتأكيد ووضوح. أتصوّر ان صوفيا وصديقها تبعاني ليريا ما يمكنني فعله. ولما وجداني في الحالة المرعبة، لا شك أنهما فقدا عقليهما ايضا. هل خشيت صوفيا ان اتهمه عندما اعود الى وعيي؟ او انها، بالعكس كانت تخاف من ان تضطر للرد على الاجوبة الحرجة؟ لكن، مهما كان الامر، فان رشي بالماء لم يكن الا حيلة للاشارة الى اني كنت مترنحاً حتى الموت، ولا يمكن لأي انسان ان يبحث عن سبب أبعد من ذلك».

«وهل... وهل تركاك وحدك في هذه الحال؟».

«نعم. لأني فقدت الوعي من جديد. وبعد وقت طويل عثر عليّ مدرب آخر لدى اغلاق ساحة التزلج».

نهضت سوزان مشمئزة، فهزّ مارشيللو كتفيه واضاف:

«واليوم، تأمل ان تحقق اهدافها في تهديدي بالحصول على ايلينا».

«ماذا تعني؟».

«لا يمكنك ان تفهمي، يا سوزان».

«وضح لي الامور اكثر، يا حبيبي! اتريد ان تقول أنّ صوفيا تريد الطلاق...».

«ليس هناك شيء أكيد. لو كانت تريد الطلاق، لكان بامكانها الحصول عليه، منذ زمن بعيد».

«لكن... ماذا؟».

نظر اليها مطولاً وكان يبدو انه فقد شجاعته.

«لا... لا اعرف كيف سأشرح لك اي نوع من النساء هي...

هل تفهمين اذا قلت لك انها... انسانة شبقة؟».

قالت سوزان وهي شاحبة اللون:

«آه».

«شيء لا يصدق، اليس كذلك؟ هناك نساء هكذا. لا يشعرن بالاكتفاء ابداً. وكل ما يجدنه في دروبهن يتمسكن به، عشاقاً، ازواجاً... اي شيء...».

«لكن، وصلت الى ان تتركك تموت...».

«نعم. لأني كنت في ذلك الوقت رجلاً لا جدوى منه. وعندما كنت بين الحياة والموت اسابيع طويلة راحت تتحرش ببيترو... انه الوريث الوحيد للقصر. لكن حين بدأت صحتي تتحسن قليلاً، عادت من جديد تهتم بي. لكن حبي لها مات في مركز التزلج، في كورتينا، الى الأبد. لذلك اضطرت الى التصنع...».

وفي لحظة البرق فهمت سوزان كل شيء.

«ولهذا السبب اردت ان تدعها تجهل حقيقة وضعك الصحي...».

«نعم. لم اكن اريدها ان تعرف اني قادر على المشي. كان يجب ان ادعها تعتقد اني معاق... وهذا، يخدم كل النواحي، هل تفهمين؟».

ثم اضاف يقول:

«ربما قررت ان تطلب الطلاق... وبعدها التقيت بك. والباقي، تعرفينه. لقد تصنعت اللامبالاة تجاهك. لكن صوفيا امرأة بارعة ولا شك انها فطنت في الحال لما اشعر به نحوك».

«لكن... انا لا ارى حتى الآن، اي مانع لديك من الطلاق!».

«وايلينا، يا حبيبتي. لا تنسي أنّ صوفيا بامكانها ان تجذب اي انسان، وذلك يعني ان في استطاعتها ان تقنع القاضي بطريقتها الخاصة بأن يوكل لها رعاية ايلينا».

«لكنها قليلا ما تبالي بابنتها!».

«مع ذلك تعرف كم احب ايلينا».
«واي علاقة لكارلو هنا؟».
«انها لا تكن له محبة مختلفة عن بقية الرجال الذين تعاشرهم، بل تحاول بكل الطرق كي تدعني اغار».
«و. . . والآن؟».
«لم تدخل اي امرأة اخرى في حياتي قبل الآن، يا سوزان. وللأسف اعطيت لصوفيا، من دون ان ادري الاسلحة اللازمة ضدي».
«هذا امر شنيع للغاية».
«لا شك انها في روما الآن، عند بعض الاصدقاء. كيف نجحت في اقناع كارلو لكي يقوم لها بهذه الخدمة؟ واضح انها تفرض عليه سلطتها. . .».
«لكن، كيف عرفت بوجودك في لندن؟».
فكر لحظة وقال:
«قطعاً بواسطة بيترو. . .».
«لماذا سألتني لمّا وصلت ما اذا كنت قد رأيت كارلو بوتيغا؟».
التفت اليها في بطء وقال:
«اذا كنت لا اغار من عشاق صوفيا، هذا لا يعني اني اجهل الغيرة. تصورت انك فهمت جيداً. ولما كنت اراك تجذبين هذا الرجل شعرت بقسوة الغيرة. وحين علمت من ايلينا انه ذاهب الى لندن كي يراك. . .».
توقف قليلاً، فكر ثانية ثم اضاف:
«من دون اي شك، انّ تصرفك تجاهه زاد من رغبته لمساعدة صوفيا».
«آه، يا حبيبي!».
مدّت له يدها فهمس في صوت مبحوح:
«كلا. عليّ ان اسوي بعض الامور قبل ان يصير بامكاننا ان نكون

احراراً. . . كي نحب بعضنا».
سألته وهي تحدّق فيه بنظرة قلقة:
«ماذا بامكانك فعله من دون ان تضطر الى خسارة ايلينا؟».
«انا مستعد ان افعل اي شيء مهما كان، من اجل المحافظة عليها معي».
بدأت سوزان ترتجف وتقول:
«هذا مستحيل، يا مارشيللو، انت تعرف ذلك تماماً».
«لماذا؟ ربما انانيتي هي التي تجعلني اتخيّل ايلينا تعيسة مع والدتها».
قالت سوزان وعيناها مليئتان بالدمع:
«انت تعرف ان ما تقوله خاطىء، يا حبيبي. صوفيا لا تحب ابنتها. ولا يحق لك ان تدعها تحصل عليها. ويوماً ما، ستلوم نفسك على هذا وستلومني انا ايضاً لأني كنت سبب هذا الانفصال».
«اذن. . . هل تطردينني؟».
كان هذا اكثر ما بامكان سوزان تحمله. فانفجرت دموعها وخبأت وجهها في صدره وهي تبكي بمرارة وتفكر [illegible] القدر. ذراعا مارشيللو تحتويانها. ولمدة طويلة ظلا هكذا، فريسة حزن رهيب.
فجأة قال مارشيللو:
«ربما هناك امل. . .».
«وما هو؟».
«المجموعات».
«ماذا تعني؟».
«لست حراً في ان اتصرف بالقصر، يا سوزان. لأسباب تتعلق بقانون الارث الابوي. لكن المجموعات هي ملكي كلياً».
«وماذا؟».
«تشكين بقيمتها. . . ماذا لو قدمتها الى صوفيا. . .».
«هذا غير معقول. انت مصرّ على المحافظة على هذه المجموعات.

انها تعني لك الكثير».

«ليس كفاية. انت تعنين لي اكثر، يا حبيبي».

«كلا... انها حياتك وانت تعرف ذلك جيداً».

«حياتي، الآن، هي انت، يا حبي! فقط، لو اني اكيد بأن هذا العرض ستقبله صوفيا!».

«تخشى ان ترفض؟».

«لا اعرف.. لكن ذلك هو املنا الاخير، ولا يمكننا ان نتجاهل ذلك».

«وماذا... لو قبلت...؟».

«ساطلقها واحصل على وصاية ايلينا. وهكذا نعيش انت وانا وايلينا... هذا رائع».

«و... المجموعات؟».

«لا تقارن بحبي لك».

«مسكينة صوفيا. ارى انه لم يعد هناك سبب لأن اغار منها».

«هل كنت تغارين منها؟».

«نعم... اني احبك، يا مارشيللو».

ضمها اليه اكثر. ونسيا للحظة كل الهموم والظروف القاسية. ثم قال فجأة وهو يبتعد عنها:

«والآن، يجب ان ارحل».

«في الحال؟».

«نعم. سأذهب الى مكتب السفريات واحاول ان احجز مكاناً في رحلة الغد صباحاً الى البندقية».

«هل ستتصل بي هاتفياً؟».

«نعم، يا حبيبتي. لا شيء يمكن ان يفصلنا. انا اكيد من ذلك. ايلينا تبلغ العاشرة من العمر، وبعد اقل من عشر سنوات بامكانها ان تختار بنفسها».

«لا يمكنك ان تتركها في رعاية والدتها كل هذا الوقت، يا

مارشيللو. انا اعرفك جيداً. لكن ما دمت تحبني، فسأنتظرك. ولو لسنوات عديدة».

١١- موت مارشيللو

كانت سوزان تقفل باب مكتبها عندما شاهدت عبد الفايز برفقة مالكوم نورتن. ولما لمحها الرجل التركي ترك المدير وتقدم منها وسألها مازحاً:

«أين تختبئين؟ حاولت الاتصال بك صباح أمس، واليوم بعد الظهر. كنت أريد ان أسألك اذا أحببت فيلم السبت».

قامت سوزان بجهد لتتذكر ما كان يقوله. أمور كثيرة حدثت، منذ مساء السبت...

أكدت له قائلة:

«آه، لا بأس... شخصية المخبر السري مركزة تماماً ومتماسكة».

«اذن، أعجبك الفيلم؟».

قالت بابتسامة صغيرة:

«أؤكد لك اني شاهدت أفلاماً أسوأ بكثير».

«ماذا فعلت طيلة النهار؟ كان من المستحيل ان أجدك في المكتب».

«رافقت مجموعة من السياح اليابانيين الذين كانوا بحاجة ماسة الى دليل. وطلب مني السيد نورتن أن آخذهم الى هامتون كورت. ولم يكن بين الفرقة الا بعض الأشخاص ممن يفهمون اللغة الانكليزية، لذلك فالعملية ليست سهلة ومسلية».

«آه، اذن أمضيت نهاراً متعباً. أرجو الا تضطري لمرافقتهم مرة اخرى».

«آمل ذلك».

في الواقع لم تكن مستاءة لمغادرة الفندق. فهذه الرحلة أبعدت عنها التفكير بمارشيللو طيلة النهار، وعن الهموم التي سيصادفها خلال حديثه مع صوفيا.

سألها التركي:

«هل لديك مشاريع لهذا المساء؟».

«اني... عفواً؟».

«هذا المساء؟ هل تحبين الخروج معي؟».

«أنا؟ أوه... لا... اني متعبة وأريد ان أخلد الى النوم باكراً».

تردد عبد الفايز لحظة ثم وافق قائلاً:

«هذا أفضل لك. أنت شاحبة اللون، يا سوزان. مساء الخير والى اللقاء».

«الى اللقاء».

شعرت بارتياح وتوجهت الى شقتها. كانت رائحة العفن تملأها فأسرعت وفتحت النوافذ ليدخل الهواء النقي المنعش، ثم دخلت المطبخ وفتحت البراد لترى ما تبقى فيه من طعام.

لم تكن جائعة بالضبط، لكن يجب عليها ان تأكل شيئا. وبسرعة صنعت لنفسها عجة بالبيض والجبن ووضعتها على صينية مع كأس من اللبن وحملت الصينية الى غرفة الجلوس.

كانت تأكل من غير شهية وهي تشاهد التلفزيون، لكنها كانت سارحة في أفكارها. في كاسيل فالكونيه حيث مارشيللو يحاول كل ما في وسعه للوصول الى حل مع زوجته. ماذا سيحدث؟ هل ستقبل صوفيا المجموعة الرائعة؟ أو انها ستتصلب في موقفها وتضع مارشيللو أمام مشكلة لا حل لها؟

وتجهمت سوزان قلقاً، لأنها لو كانت محل صوفيا لما تخلت عن مارشيللو تجاه أي شيء في العالم.

وبعدما أخذت حماماً ساخناً وارتدت قميص نوم من القطن الشفاف، عادت الى غرفة الجلوس لتحتسي آخر فنجان قهوة وهي تشاهد على شاشة التلفزيون أخبار الساعة العاشرة.

أعلن المذيع في مطلع النشرة عن حادث تحطم طائرة. وهذا النوع من الحوادث لا يحصل يومياً. هناك ١٤٧ راكباً وطاقم الطائرة لاقوا جميعاً حتفهم، ومعظمهم من السياح البريطانيين. حصل الحادث فوق جبال الالب. ثم أعلن المذيع اسم شركة الطيران ورقم الرحلة: رحلة رقم ٤٠٧ الى البندقية...

وبعد ذلك، لم تسمع سوزان شيئا. وقع من يدها فنجان القهوة من شدة ذعرها ومن دون أن تعي السائل الساخن الذي وقع على قدميها العاريتين، اقتربت من جهاز التلفزيون كالمسحورة.

كانت سوزان ترى مشاهد الحطام المعروضة على الشاشة وراح قلبها ينبض حتى الجنون. فهي لا تصدق ما حصل. وعلّق المذيع على سبب الحادث الذي يعود الى خطأ ارتكبه الطيار الذي أسرع اكثر من اللزوم في الهبوط في المطار. ثم ردد مرات عديدة رقم الهاتف لمن يريد الحصول على معلومات أكيدة اضافية. وبطريقة آلية سجلته سوزان على زاوية مجلة أمامها.

الأخبار تستمر... الحياة تستمر... لكن، سوزان ما زالت تحدق في الشاشة، من دون أن ترى شيئاً. بالنسبة اليها، كل شي توقف... مات.

بعد وقت غير قصير، أقفلت التلفزيون وتناولت سماعة الهاتف. الخط مشغول باستمرار. وبعد جهد طويل، تمكنت من التحدث. فرد صوت امرأة طلبت منها ان تدلي باسمها وعنوانها والسبب الذي من أجله طلبت الرقم.

شرحت لها سوزان انها تريد معرفة ما اذا كان أحد اصدقائها في الطائرة. ترددت المرأة لحظة، المعلومات تعطى فقط الى عائلة الضحايا. لكن، أمام الحاح الفتاة، قبلت المرأة ان تلبي طلبها وذهبت تستعلم ثم عادت تعلن أن هذا الاسم كان صاحبه على متن الطائرة. وكان أمام سوزان الوقت الكافي لتقفل السماعة قبل ان يغمى عليها.

أمضت سوزان ليلة طويلة، لا نهاية لها، ستتذكرها دائماً، مدى الحياة. لم تتوقف عن البكاء لحظة واحدة. وشعرت ببشاعة الوحدة، أمام هذا القضاء والقدر، لأنها لم تجد احداً في امكانها ان تبوح له بهمومها.

ماذا يمكن أن تفعل؟ لا شيء. مارشيللو مات ولا احد يمكن ان يعيده اليها... انه القدر [illegible].

وفي الصباح، علمت بعد سماعها الأخبار المفصلة، ان عائلات الضحايا سينقلون الى مكان الحادث للتعرف على ذويهم، وللضحايا الذين لا يريد اهاليهم اعادتهم الى بلادهم تم تحضير الجنازات والدفن في مكان الحادث.

اما مارشيللو، فسيدفن بلا شك في كاسيل فالكونيه، في مدافن العائلة. وفكرت لحظة بالذهاب الى كاسيل فالكونيه، لكن أمام فكرة المجابهة مع صوفيا، أقلعت عن هذا التصرف. ثم، اذا عرف كارلو بالحادث، فسيتخلى من دون شك عن الشهادة ضدهما في

المحكمة. اذن لماذا التظاهر والاساءة الى سعادة ايلينا؟

وبعد هذه الليلة السوداء، توجهت سوزان في الصباح الى مكتب عملها، فوجدها مالكوم نورتن شاحبة ومنهارة، فقال باستغراب:

«يا الهي، ماذا حدث لك، يا سوزان؟ هل الأمر خطير؟».

شعرت بارتياح وهي تقول بصوت متقطع:

«احد اصدقائي قتل امس في حادث الطائرة المتوجهة الى البندقية».

قال بلطف كبير:

«آه، يا سوزان، يا لهذا الخبر الشنيع! لو اتصلت بي لكنت طلبت منك ألا تأتي الى العمل اليوم».

«فكرت بالأمر... لكني تصورت انه من الأفضل لي ان أرى الناس وألا أبقى وحيدة في المنزل. لكن، معك كل الحق، فلست الآن في حالة جيدة للقيام بأي عمل».

تقدم نورتن منها ووضع يده على كتفها وقال في محبة صادقة:

«لا شك انك تكنين لصديقك حباً كبيراً. أنا آسف جداً».

تأثرت سوزان من كلامه ولم تكن قادرة على الرد، فاكتفت بانحناءة من رأسها. وفي حركة سريعة، ساعدها على الوقوف وحمل حقيبة يدها ووضعها بحزم بين يديها وقال:

«هل تعرفين ما يجب فعله؟ عليك ان تأخذي بضعة أيام عطلة...».

احتجت على عرضه فقال:

«بلى. بلى. أنا مصر على ما أقوله. اذهبي الى بريستول وقومي بزيارة والدتك. اني اكيد انها ستسر لرؤيتك».

هزت سوزان رأسها في بطء وقالت:

«ان والدتي تقوم برحلة سياحية مع زوجها».

«آه، يا لسوء حظك».

«لا تبال كثيراً لهمومي، يا سيد نورتن!».

«لكن بلى، يا سوزان. أفضل ألا تكوني وحيدة...».

«ستتحسن أحوالي، أؤكد لك ذلك».

تأثرت سوزان لهذا الاهتمام الكبير. لكنها لم تكن تتمنى أبداً الذهاب الى منزل والدتها، في جميع الأحوال، اذ من الصعب عليها ان تشرح لها جميع التفاصيل. لكن فكرة الرحيل لبضعة ايام بدأت تروق لها.

سألها نورتن:

«اذن... ماذا تنوين فعله؟».

«هل كنت جاداً عندما اقترحت عليّ منذ قليل ان آخذ بضعة ايام عطلة واذهب الى مكان ما، بعيداً من هنا؟».

«نعم. كلياً».

«اذن، سأقبل اقتراحك. أعتقد ان من الأفضل أن أغيّر... الجو. وربما سأذهب الى شاطىء البحر».

«الى أين؟».

«آه، لا أعرف. عندما كنت صغيرة، كنا نذهب بشكل منتظم الى قرية صغيرة تقع قرب مدينة ويمث. المكان رائع. ربما أذهب الى هناك».

قال نورتن في قلق عليها:

«لن تأخذي سيارتك، أليس كذلك؟».

«لكني لست مريضة، يا سيدي».

«أنت مضطربة كثيراً، ولا يمكنك قيادة السيارة».

«المكان ليس بعيداً، في أي حال. اذا ذهبت بعد الغداء، سأصل وقت العشاء».

«وماذا يدعى المكان؟ عليّ ان اعرف ذلك».

«ويست هامتون ريجيس. انها قرية صغيرة حسب ما أذكره».

«وأين ستنزلين؟».

«لا أعرف. لا شك هناك فندق صغير في القرية. لقد نسيت.

سأتدبر مكان سكني عندما أصل!».

«افضل لو تطلبين من عبد القايز ان يقودك الى هناك...».

«هذا غير وارد على الاطلاق. كما أطلب منك الا تقول له الى أين أنا ذاهبة».

«لكن، يبدو لي انك بدأت ترتاحين للخروج معه».

«نعم. لكن هذا لا يعني شيئا. وليس عندي شيء ضده. غير اني... اني... في حاجة لأكون لوحدي بضعة ايام».

«حسناً، يا سوزان. انت فتاة ناضجة وتعرفين جيداً ما تفعلينه».

منذ وقت طويل، لم تخرج سوزان سيارتها الاوستن المبني من المرآب، لأنها تفضل استعمال الباص او القطار للتنقل في المدينة. وعند الاضطرار تأخذ سيارة تاكسي. وفرحت لوجودها وراء مقود السيارة! لكنها تجهمت وتذكرت رحلة الأحد الماضي برفقة مارشيللو...

كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة بعد الظهر عندما وصلت سوزان الى وستهامتون ريجيس. لكنها لم تتذكر قرية طفولتها التي توسعت بشكل ملموس. المنازل والفنادق نبتت كالطحلب وسط المركز التجاري الجديد. ومن الشوارع الصغيرة الضيقة، تعود العائلات عن الشاطىء، نحو الفنادق والبيوت.

وتساءلت سوزان: انه موسم السياحة، ماذا لو كانت جميع الفنادق مزدحمة؟ وشعرت بفراغ عميق بعد ليلة سوداء ورحلة غير قصيرة، ولم تكن في حاجة الا أن تأخذ حماماً ساخناً وتنام.

شاهدت فندقاً صغيراً قرب البحر، فأوقفت سيارتها ودخلت الى البهو، مديرة الاستقبال منهمكة على الهاتف، بينما مجموعة أولاد، يدخلون ويخرجون من دون توقف في غرفة التلفزيون.

وبعدما أقفلت السماعة قالت مديرة الاستقبال:

«هل بامكاني أن اخدمك؟».

«أريد غرفة».

«بسرير أم سريرين؟».

«سرير واحد».

«آسفة، ليس في الفندق غرفة بسرير واحد فارغة. هل سألت في فندق ستراند؟».

هزت سوزان رأسها وقالت:

«كلا».

لقد شاهدت الفندق الكبير المطل على البحر، لكنها لم تنجذب اليه.

«انه المكان الوحيد حيث بامكانك ان تجدي غرفة».

شكرتها سوزان، فربما كانت على حق.

وبينما كانت تتوجه نحو الفندق المذكور عرّجت على مكان لفت نظرها يدعى «الحورية». وتذكرت للحال، انه الفندق الذي كانت تقصده لسنوات عديدة برفقة والديها، ربما كان هذا المكان بشرى سارة. لماذا لا تحاول معرفة ما اذا كان لديهم غرفة فارغة.

أجابتها مديرة الاستقبال:

«لم يعد هناك الا غرفة واحدة بسريرين».

ترددت سوزان لحظة. هل تحاول الذهاب الى فندق ستراند، ربما تجد هناك غرفة بسرير واحد؟ لكنها تذكرت انها اذا ذهبت الى الستراند عليها ان تكون أنيقة كلما أرادت تناول العشاء، كما ستلتقي هناك أشخاصاً اثرياء يرمقونها بنظرات استغراب، كونها وحيدة هنا.

قررت سوزان وهي تقول:

«سآخذها، مهما كان».

فوجئت الموظفة، لكن سوزان أصرت تقول:

«سأدفع ما يطلب مني. سأحضر حقيبتي من السيارة».

«لا تهتمي بالأمر. سيجلبها الخادم. وفي هذا الوقت، أرجوك ان توقعي اسمك وعنوانك على هذا الملف...».

كانت الغرفة تطل على البحر، انها مريحة وتحتوي على أثاث

حديث. وفوق الباب لائحة تشرح الأسعار ومواعيد الطعام وكيفية التصرف لدى وقوع حريق. لم تكن سوزان تشعر بالجوع، بل كانت منهكة من التعب، فأخذت حماماً ساخناً وتمددت على سريرها.

طقطقة فناجين الشاي في الممشى أيقظت سوزان من نومها في الصباح التالي. نامت أكثر من ٢٤ ساعة متواصلة. لكنها ما ان فتحت عينيها حتى عادت الذكريات الى عقلها كالبرق. فتجهم قلبها ألماً، أمام الساعات والأيام والأشهر والسنوات التي تنتظرها، كأنها شاطىء واسع وفارغ يسير فيه المرء بلا هدف...

وخلال الأيام المقبلة، كانت سوزان تمر في معمعة ضبابية داخلية رهيبة. في الصباح، تنهض باكراً وتتناول الفطور ثم تذهب الى شاطىء البحر، حيث تجلس حتى الساعة الواحدة ظهراً تصغي الى الراديو الصغير الذي حملته معها من لندن. وبعدما تأخذ قسطاً وافراً من الشمس والضجيج، تعود الى الفندق لتتناول غداء خفيفاً. ثم تعود في سيارتها كيفما اتفق لها، من دون أن ترى شيئاً من جمال المناظر الجذابة. توقف سيارتها في أي مكان وتمشي حتى يرهقها التعب. وتعود الى الفندق وقت العشاء، ثم تخلد الى النوم باكراً، كي تنسى همومها ومصائبها.

حولها، العائلات تمضي العطلة بفرح كبير. وهي تقول لنفسها، انه لن يتسنى لها ان تعرف السعادة بعد الآن. مات مارشيللو، ولن يكون لديها حبيب سواه... مات فمات معه كل أمل وكل فرح.

وهكذا امضت اسبوعاً كاملا في حالة انحطاط وارهاق.

وجاء الوقت كي تفكر في العودة. لم يحدّد لها نورتن تاريخ العودة، وفكرة العودة الى شقتها والبقاء فيها وحيدة تزيد من انهيار صحتها، فقررت البقاء ثلاثة ايام اضافية تعود بعدها الى العمل نهار الخميس بعدما تكون قد امضت حوالى عشرة ايام.

وبعد عودتها من النزهة اليومية، مساء الاثنين، شاهدت امام باب الفندق سيارة مرسيدس برّاقة.

وقرب مكتب الاستقبال وقفت امرأة سمراء، قصيرة القامة، ترتدي باناقة تامة سروالاً من الكتان البني اللون وقميصاً من القطن البيج، وحول الياقة مشلح مرقط معقود بفن وذوق كبيرين. تبدو انها اجنبية او غريبة عن البلد. ولما تقدمت سوزان لأخذ مفتاحها سمعتها تتكلم باللغة الايطالية، فتراجعت آلياً وراح قلبها يخفق بسرعة هائلة. لا ينقصها بعد الآ رؤية السياح الطليان يغزون المكان! وبدأت تفكر بالرحيل في وقت قريب.

وما ان رأتها مديرة الاستقبال حتى اطلقت زفرة ارتياح وقالت:

«آه، ها انت، يا آنسة! هذه المرأة تنتظرك منذ وقت غير قصير».

«أنا؟».

وفي حركة سريعة التفتت المرأة الايطالية لتنظر اليها بامعان. فشعرت سوزان بخوار قدميها لكنها بذلت كل جهدها لكي تبقى هادئة.

فقالت المرأة مستعلمة:

«انت الآنسة سوزان هانت، اليس كذلك؟».

«اوه... نعم... لكن...».

«تعالي. من المستحيل ان اكلمك هنا. هل بامكاننا الذهاب الى غرفتك؟».

«لكن، من انت. ولماذا تريدين التحدث اليّ؟».

«نعم، اعذريني! كان يجب ان اقدم لك نفسي. ادعى مارينا روسي...».

«مارينا روسي!».

«نعم. قال لي مارشيللو انه حدثك عني».

بدأت سوزان بفقدان برودة اعصابها. فقالت في تلعثم:

«لكني... ما زلت... لا اعرف لماذا انت هنا، لكن...».

قالت المرأة الايطالية بلطف ونعومة:

«ارسلني مارشيللو كي اراك».

بدأت سوزان ترتجف كورقة الخريف وقالت في تلعثم واضح:
«انه... مار... مارشيللو... الذي... الذي...».
«نعم. مارشيللو هو الذي ارسلني».
«لماذا؟ لماذا؟...».
حدّقت مارينا بالفتاة في استغراب وقالت:
«لكن، انت لا تجهلين مدى عاطفته تجاهك؟».
«لا افهم ماذا تريدين. لا يمكن تغيير...».
قاطعتها المرأة الايطالية قائلة:
«لماذا تهربين من مارشيللو؟».
«انا؟ لكن... مارشيللو... مات، وانت تعرفين ذلك! لماذا جئت الى هنا لتعذبيني؟».
«ماذا تقولين؟ مارشيللو... مات!».
صرخت المرأة الايطالية واشارت الى شخص يدخل البهو وقالت:
«مارشيللو، وجدتها. كانت تعتقد انك انسان ميت».
اعتقدت سوزان انها تعيش كابوساً مستمراً، فالتفتت الى الوراء ببطء ورأت شبحاً تعرفه... وللمرّة الثانية خلال ثمانية ايام، يغمى عليها.

وعندما فتحت عينيها كانت الغرفة غارقة في الظلام. وعادت تغوص من جديد لئلا تدع ذكرى الحلم يهرب منها، هذا الحلم المجنون، المستحيل بنعومته الجارحة... لقد شعرت بذراعي مارشيللو القويتين والحنونتين تضمانها... لكنها كانت تعرف ان ذلك حلم مستحيل، لأن مارشيللو مات. فاعتراها ألم قوي، وبدأت تجهش بالبكاء، ورأسها على الوسادة.
همس الصوت الحبيب في اذنيها:
«سوزان! انا هنا، يا حبيبتي. انظري اليّ. انني حيّ ارزق!».
فتحت عينيها من جديد وهي لا تصدق. قربها على طرف

السرير، شاب يرتدي سروالاً مخملياً رمادياً وقميصاً من الحرير الأخضر المفتوح قليلاً عند عنقه الاسمر. وفي العتمة، لم تميّز ملامحه الا بصعوبة. لكن عندما خفض رأسه لينظر اليها، تعرفت الى عينيه الخضراوين اللتين لم تنساهما، والى الكدمات على خده المجوف.
فانتفض بعنف واضعاً يديه بنعومة على كتفيها وعاد يقول بصوت هادىء وناعم:
«هذا انا، يا سوزان. انا، مارشيللو. لا تخافي، يا حبيبتي».
قالت بصوت متقطع:
«مارشيللو. لكن... قيل لي... انك... مت...».
«انظري اليّ يا حبيبتي، هل ابدو لك شبحاً خيالياً؟».
«لكن... الحادث...؟ اتصلت هاتفياً لمعرفة... وقيل لي انك كنت احد ركاب الطائرة...».
«انها غلطة شنيعة، يا حبيبتي. انت ترين جيداً اني هنا، أليس كذلك؟».
راحت سوزان تحدّق فيه، غير مصدقة. وباستغراب قلق، انتصبت وارتمت بين ذراعيه وراحت تنفجر بالبكاء.
تركها تبكي على سجيتها مكتفياً بتأرجحها في لطف بين ذراعيه، وفمه فوق شعرها الاشقر. ولما هدأت ابعدها قليلاً عنه ليراها افضل وقال:
«آه، يا سوزان، اي عذاب كبدتني!».
«انا؟ وكيف؟».
«منذ نهار الاثنين الفائت وانا احاول الاتصال بك».
«الاثنين الفائت؟ يوم الحادث...».
«نعم...».
«لكن لم يعلمني احد بذلك...».
«لم اعرف بذلك الا اليوم».
كانت سوزان تحدّق فيه من دون ان تفهم شيئاً. فقالت:

«وماذا اذن؟».
«آه يا سوزان، لو كان بامكاني ان التحق بك...».
جذبها نحوه، فنسيت الاسئلة التي ارادت ان تطرحها عليه، اذ كانت فرحة وسعيدة ان تكون من جديد بين ذراعيه .
فجأة قال مارشيللو في صوت غير واضح:
«يجب ان احدثك بأمور مهمة، يا سوزان».
تذكرت للحال انه لم يصل وحده. فأعتراها القلق وتقلّصت مثل حيوان مفترس وحدقت فيه، فقال لها متوسلا:
«ارجوك، لا تنظري اليّ هكذا. فقد تفقدين القدرة على مساعدتي».
«هل... هل تحدثت بالامر مع صوفيا؟».
«لا، يا حبيبتي، لا».
«لم تقل شيئاً. هل غيرت رأيك؟».
«لا، بل...».
تلعثمت وهي ترتجف كلها:
«انها تلك المرأة، أليس كذلك؟ مارينا روسي؟ اين هي الآن؟ لم تقل لي انها جميلة؟ ما هي فعلاً بالنسبة اليك؟».
ضمها من جديد الى صدره وراح يقول:
«سوزان، هدئي اعصابك، ارجوك واصغي لما سأقوله. ماتت صوفيا... هل تسمعين؟ انها هي التي قتلت في حادث الطائرة».
هدأت سوزان ورفعت بصرها الى مارشيللو في صمت غريب وقالت:
«ماذا؟... تريد ان تقول...».
«كانت صوفيا على متن الطائرة التي تحطمت... وبرفقة كارلو...».
«آه، يا حبيبي، هذا مؤلم حقاً»
تابع يقول:

«في الواقع كنت قد حجزت مكاناً لي في هذه الرحلة، لكني تذكرت انّ صوفيا قالت لي انها ستذهب الى روما، فقررت اللحاق بها. كنت مصراً ان احدثها في سرعة كي تقرر مستقبلنا... لكن القدر شاء...».
«هل... هل ذهبت الى روما؟».
«نعم، في طائرة التاسعة صباحاً. بينما اقلعت طائرة البندقية بعد ساعتين. ولما لم اجد صوفيا في العنوان المفترض انها ستذهب اليه، استأجرت سيارة لأعود الى كاسيل فالكونيه. وفي الطريق علمت بحادث سقوط الطائرة. ولما وصلت الى المنزل، لم اجد صوفيا، فبدأت اشك انها ربما ذهبت الى لندن برفقة كارلو. وانتظرتها... الى ان وصلنا الخبر...».
ساد صمت طويل ثم تابع يقول:
«وحينئذ اتصلت بك هاتفيا. كنت بحاجة لأن اسمع صوتك، يا حبيبتي. وخاصة اني كنت ارغب في اعلامك اني ما زلت على قيد الحياة».
«آه، يا مارشيللو!».
«واجابوني انك غير موجودة في الفندق...».
«صحيح. اصطحبت بعض السياح الى هامتون كورت».
«اتصلت في اليوم التالي، قيل لي انك لا تريدين ان تتحدثي معي».
«صحيح؟».
«نعم. لم... لم اكن اريد تصديق ما قيل لي».
«آه، يا حبيبي!».
«وفي الايام التالية، كنت اتصل مجدداً، وفي كل مرّة، الجواب نفسه. لذلك طلبت مساعدة مارينا. كان عليّ اللحاق بك ومعرفة ماذا حدث كي...».
«آه، يا الهي!».

«تتصورين قليلا الحالة التي كنت بها! موت صوفيا. . . مراسم الدفن. . . اسئلة العائلة. . . صمتك. . . قلقي. . . لذلك طلبت من مارينا ان تذهب مكاني الى لندن لتحدثك، وتقول لك الى اي درجة انا متعلق بك، وان تشرح لك أنَّ الحياة بدونك لا معنى لها. . .».

صمت قليلاً عانقته سوزان فقال في صوت مبحوح:

«دعيني انتهي من الكلام. لما وصلت مارينا الى الفندق حيث تعملين وقابلت المدير. . .».

«السيد نورتن؟».

«نعم. لكنه رفض ان يقول لها عن مكان وجودك».

«طلبت منه ألاّ يخبر احداً».

«وبالفعل. اعلمها بانك مريضة وانك ذهبت في عطلة راحة لبضعة ايام. ولم يعطها اية تفاصيل. لكن مارينا كانت عنيدة، فبقيت في الفندق. ومساء السبت تمكنت من التعرف الى احد اصدقائك، عبد الفايز، الذي تحدثت عنه مرّة، هل تتذكرين؟».

«نعم».

«فراحت تطرح عليه الاسئلة العديدة، وفهمت منه انه هو المسؤول عن الأجوبة التي كنت اتلقاها على الهاتف».

«لكن كيف؟ لا افهم».

«هو علم ايضاً من قبل المدير انك مريضة وانك ذهبت لقضاء بضعة ايام طلباً للراحة. ولم يعرف المزيد لأن مالكوم نورتن لم يعطه اي تفصيل عن سبب مرضك، لكن عبد الفايز قام باستنتاجاته».

«اي استنتاجات؟».

«فقد صرح لمارينا انك خفت مرّة من رجل ايطالي جاء ليراك في الفندق».

«كارلو!».

«نعم، كارلو. ولما اتصلت بك تلفونياً، لم تعرف الموظفة المسؤولة

عن المكالمات الهاتفية اين تجدك، فطرحت السؤال على عبد الفايز الذي كان موجوداً هناك بالصدفة. ولما عرف أن المتكلم ايطالي الجنسية، اعتقد انه كارلو. . .».

«آه، يا الهي، هذا غير معقول!».

«ولما اخبرتني مارينا كل هذا على الهاتف، لم اتردّد لحظة واحدة. كان يجب عليّ معرفة مصيرك. فأخذت اول طائرة مسافرة الى لندن وذهبت الى الفندق وقابلت المدير وتكلمت معه بصراحة تامة. وفهمت حينذاك انك كنت تعتقدين اني مت في حادث الطائرة، فخفت جداً ان تكوني قد صنعت لنفسك شيئاً اندم عليه، لذلك اخبرنا نورتن عن مكان وجودك ومنذ صباح اليوم ونحن نجوب في هذه القرية الصغيرة، ونبحث عنك في كل الفنادق. . .».

همست بصوت خفيض وهي تندس بين ذراعيه:

«آه، يا مارشيللو. لا اعرف ما اقوله لك».

«قولي انك تحبينني».

«آه، يا حبيبي انت تعرف ذلك جيداً. لكن. . . لا استطيع حتى الآن ان اصدقُ. . .».

«بدأت تفهمين ماذا تعني لنا وفاة صوفيا، أليس كذلك؟».

هزت رأسها ببطء، فقال:

«انا حرّ، حرّ، هل تسمعيني. . . حرّ ان احبك، ان اتزوجك بعد فترة غير طويلة طبعاً».

قالت سوزان وشفتاها ترتجفان:

«سأصبح زوجتك متى شئت ذلك. و. . . ايلينا؟».

«ايلينا؟ انها تحبك كثيراً. وهي في حاجة الى ام، الى ام بما في الكلمة من معنى».

«ربما يكون صعباً ان تقتنع العائلة بزواجنا؟».

«ربما بيترو فقط. لكن هذا ليس بالشيء المهم. المهم ان تعرف اين سنعيش بعد الزواج».

«كنت اعتقد ان القصر...».

«سأفهم جداً اذا ما قلت لي انك لا تريدين ان تعيشي في كاسيل فالكونيه».

«لماذا، يا حبيبي؟ هل بسبب صوفيا. كلا. الماضي لا يخيفني؟».

«هل انت اكيدة من ذلك؟».

«انت لا ترغب في مغادرة القصر، اليس كذلك؟».

«بالطبع».

«انه منزلك وسوف يصبح منزلي ايضاً».

وفي انفعال غريب اغرق مارشيللو وجهه في شعرها الاشقر ثم تابع يقول:

«انوي ان اعوّض على بيترو باعطائه جزءاً من مجموعتي. لا اعرف ماذا سيفعل بها. انه يتذوق التحف الفنية. من يعرف، ربما قرر اخيراً ان يؤسس مستقبلاً لحياته... بعدما فقد سيطرة صوفيا عليه. اما بالنسبة الى العمة لويزا، فانوي ان اسكنها في المنزل الذي املكه في القرية. وبامكانها الاستمرار في العمل داخل القصر».

«هل تعتقد انها ستوافق على ذلك؟».

«طبعاً. لكن هناك شيء آخر...».

«ماذا؟».

«اريدك ان تعودي الى ايطاليا معي».

«متى؟».

«غداً... او بعد غد...».

«لكن... وعملي...».

«تحدثت مع نورتن. وفهم تماماً انك تريدين تغيير الجوّ. واي مكان افضل من سماء ايطاليا؟».

«لكن، يا حبيبي، لا يمكننا ان نتزوج في الحال!».

«اعرف ذلك. سأنتظر. لكن لا تطلبي مني ان اتركك في انكلترا. لا يمكنني تحمل ذلك».

«ارى... انك خططت لكل شيء...».

«سأفعل كل ما في وسعي لأجعلك سعيدة. لكن لا يمكنني ان اتركك وحدك... بعد الآن. اذن، هل تقبلين بقضاء بقية حياتك في كاسيل فالكونيه؟».

«لا انوي العيش في مكان آخر، يا حبي».